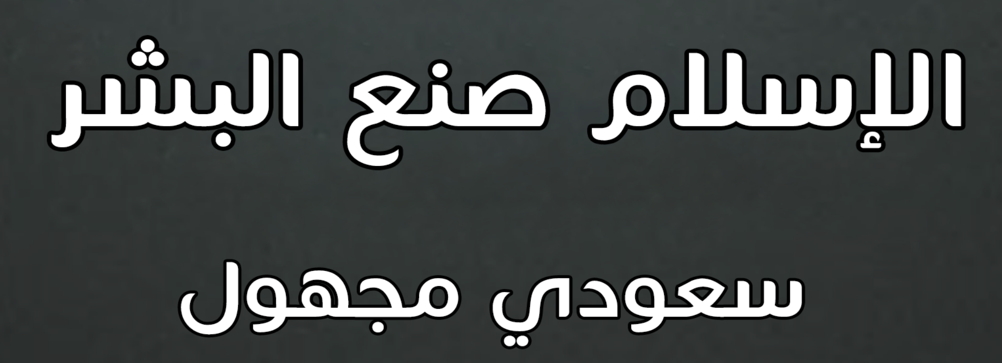

الإسلام صنع البشر
سعودي مجهول

الإسلام صنع البشر



تأليف سعودي مجهول الهوية

أسترق اللحظات بين أهلي لكتابة هذه الأحرف

أخاف أن يدري من حولي أني تركت ديني

هل هذه هي طريقة الله في إحقاق الحق؟

هل إحقاق الحق بتهديد المرتد بالقتل؟

هل يمكننا البحث بيحاديه و الطرف الآخر مهدد؟

هل يمكننا البحث بحياديه و الطرف الآخر محجوب؟

هدفي من هذه الأحرف هو حقوقي قبل أن يكون فكري

أريد الحق للجميع بالبحث و السؤال.. دون التهديد و الوعيد

دعوة للإخوة المسلمين..

لا تكونوا مجرد ورثة لدين الآباء و الأجداد..

استقلوا بآرائكم..

تقسيم الكتاب

مقدمة

إشكالات عقلية عامة

- التحيز العقلي للمصلحة
- النظرية من داخل الصندوق
- الإتكاء على عموم الأدلة
- الردود المطاطية

أدلة الإسلام

- الإتيان بمثل القرآن
- الإعجاز العلمي
- معجزات محمد
- دوافع محمد

إشكالات الإسلام

- إشكالات علمية في الإسلام
- إشكالات فلسفية في الإسلام

خاتمة

مقدمة

كتابي موجه لمن يبحث. من اختار البقاء في الإسلام قبل أن يبحث، فلن يهز هذا الكتاب شعرة من إيمانه. الردود موجودة و بالعشرات على ما أكتبه. فإذا كنت تخشى عدم وجود رد من أحد المشائخ على ما أكتبه هنا، فلا تخف.. الردود موجودة. أما إذا كنت مستقل برأيك، و تحكم بنفسك على ما أطرحه، و تقارنه مع ما يطرحه الشيخ.. فهذا الكتاب لك. لا أريد منك أن تترك الإسلام بقدر ما أريد منك أن تستقل في تفكيرك. إذا رأيت الصواب في كلامي، فوافقني عليه. و إذا رأيت كلام الشيخ هو الصواب، فوافقه عليه. كل ما أريده هو استقلاليه في التفكير. ما أريده هو أن تكون مسلم قناعه، لا وراثه. أريد إذا أنت أسلمت، أن تكون أسلمت لأنك وصلت منطقيا للإسلام.. و ليس لأنك تعتبر الإسلام مسلمه أساسيه لا نقاش فيها نقر بها إقرارا. إن كنت وافقتني على هذا، فكتابي موجه لك و لعقلك.

زعمي في هذا الكتاب باختصار هو أن الإسلام هو صنع بشر، مثله مثل بقية الأديان. و جميع الأدلة التي في صفه ضعيفة عقليا. و أن المسألة ليست إلا أننا وجدنا آباء كذلك يفعلون، كما هو الحال في الأديان حول العالم. لو أتيت بشخص من القطيف، و سألتك: ما ديانته؟ تصوري أنك ستقول مسلم شيعي، و لا أظنك ستخطئ. و لو أتيتك بشخص من القصيم، و سألتك ما دينه؟ لقلت مسلم سني، و لا أظنك ستخطئ. و لو أتيتك بشخص أبواه مسيحيين، لقلت بأنه مسيحي. و كذا اليهودي و الهندوسي و البوذي. السواد الأعظم من البشر يتبعون ديانة آبائهم، و الندرة النادرة هي التي تنتقل فيما بينها حسب قناعتها. هل يبدو هنا أن حقيقة صدق الدين الإسلامي واضحة جدا؟ لماذا على أرض الواقع في الغالب لا نستطيع رؤية هذه الحقيقة الواضحة سوى بالوراثة؟

ربما خطر على بعضكم الآن آية (و لو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا).. أي أن المسألة هي خاضعة لمشيئة الله، و الله لا يسأل عما يفعل، و بهذا انتهى الموضوع. كثير منكم اتصور سيكتفي عقليا بهذا الجواب، دون أن ينتبه إلى خلل شديد في مثل هذا الرد. السبب في عدم انتباهه هو أنه داخل صندوق الإسلام.. و يتحدث من منظور شخص داخل الصندوق، و لهذا مثل هذا الرد مقبول جدا لديه لأنه يتوافق مع هذا المنظور. دون أن ينتبه إلى أن أي شخص داخل أي صندوق آخر يمكنه استخدام مثل هذه الردود المطاطية للدفاع عن دينه.

حتى تتضح الصورة، ربما يذكر بعضكم فيديو للشيخ محمد العريفي على اليوتوب يخاطب فيه متصل مسيحي. و من ضمن أحد النقاط التي احتج بها العريفي على المسيحي هو أنه "إذا كان عيسى هو ابن الله، ألا يحب الله أن يكون له عدة أولاد؟ فلماذا اكتفى الله بولد واحد فقط؟" في مثل هذا الطعن، ألا يمكننا أن نرد عليه بأن الله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل؟ لا أرى إشكال منطقي في ذلك. استخدام العريفي لمثل هذه الحجة فيه إشارة إلى أن هذا الرد المطاطي ليس له وزن أمام المنطق العقلي.

لا أتصور أن غالب المسلمين سيتفقون مع حجة العريفي في طعنه في دين المسيحي، و لكن المثال هو فقط لتوضيح المقصد من الردود المطاطية.. الردود التي يمكن لأي دين استخدامها لرد طعون أي دين مخالف. لن أكثر الحديث عنها في المقدمة، و لكني سأبقي لها جزء من الكتاب أفصل في أهم تلك الردود و أمثله على إمكانية استخدامها من قبل أصحاب الديانات الأخرى. و هذا هو جزء أساسي من الكتاب، و هو المقارنة مع الأديان الأخرى حتى يلاحظ المسلم نظرته التحليليه عندما يرى دليل في صفه، و عندما يرى نفس الدليل في صف دين آخر. هناك فرق ملحوظ في نزعة الدفاع عن الدليل عندما يكون في صفه، و نزعة الهجوم عندما يكون الدليل في صف دين آخر.

كلنا بطبيعتنا كبشر نتعرض لهذه الألاعيب العقلية دونما أن نشعر. نستطيع أن ننتبه لها أحيانا، و غالبا تفوت علينا و ربما لا نراها إلا بعد مدة أو لا نراها أبدا. و كثيرا ما أتذكر آراء أو أفعال داخل عملي المهني كنت أراها أفكار بارعه جدا. و استغرب عدم رؤية من حولي لمسألة بديهية مثل هذه. و الآن عندما ابعدتني السنين عن تلك اللحظات، بدأت أراها من صورة أكبر. أصبحت أشكك في رأيي القديم، بل و أحيانا أصبحت أسخر من نفسي.. كيف كنت أفكر كذلك؟ لعل الفصل التالي يوضح كيف التعامل مع هذا الإشكال.

إشكالات عقلية عامة

قبل البدء في تفاصيل زعوماتي في شأن الدين الإسلامي.. أحتاج أن أوضح بعض الإشكاليات العقلية العامة التي نقع فيها جميعا كبشر، و أشاهدها تقع في حواراتي مع مسلمين. كثير من دلائل الإسلام، أو الردود على الطعونات في الإسلام، تقع في أحد هذه الإشكالات العامة. رغم حرصي في هذا الكتاب على الإيجاز و العمومية.. إلا أني أحتاج أن أتعمق بعض الشيء فكريا حتى لا يكون ما أكتبه ليس إلا إعادة سرد للشبهات على الدين. أريد أن أوضح الأسس هنا، حتى يتضح عند شرحي للطعون على الإسلام لماذا تلك الطعون لها وزن، و لماذا نرى ضعف الردود الإسلامية المشهورة عليها.

التحيز العقلي للمصلحة

التحيزات العقلية عددها يطول جدا، و لا استطيع حصرها هنا. و من أراد التبحر فيها، فيمكنه البحث عنها على الانترنت. ما أراه يخصنا هنا هو في إشكالية تحيزاتنا لرأي معين، لأن مصلحتنا هي في رأي معين.

قد يقول أحدكم: و أين الإشكال في ذلك؟ أليس كل انسان سيتجه إلى مصلحته؟

لا إشكال طبعا عندما نتحدث عن قرار أو فعل معين، يفعله الشخص قاصدا مصلحته، مثل استثمار المال في مشروع معين، أو استثمار الوقت في الدراسة. و لكن الإشكال عندما تكون المصلحة تقود الإستنتاج العقلي لما يتصوره الشخص أنه حقيقه. المشكلة هنا أن العقل له قدره عالية في تشييد الأدلة و تلميعها في صالح استنتاج معين، إذا كان للشخص مصلحة في أنه يعتقد بصحة هذا الإستنتاج.

للتوضيح، تخيل أنك في شركة، و تم تكليفك بمهمة التمحيص في جدوى مشروع معين، و ما إذا كان يستحق الإستثمار فيه أم لا. و علمت أيضا أن الإدارة ستقوم بترقيتك إلى منصب عالي جدا في الشركة إذا ما تم إعتماد هذا المشروع. أما إذا تم رفضه، فستبقى في منصبك أو ربما تحال إلى إدارة ثانية بمنصب أدنى. ماذا تتصور أن تكون نتيجة تمحصيك في جدوى المشروع؟ هل تتوقع أن تبحث في مشاكل المشروع و أسباب الفشل، أم أنك ستتبحر في إيجابيات المشروع و ربما لن ترى أي سلبيه فيه؟ الإشكال هنا هو أنك لن تلمع المشروع فقط دون إقتناع.. هذا يهون.. و إنما شدة ارتباط مصالحك بنتيجة هذا المشروع قد تجعلك تقتنع فعلا بأن المشروع ناجح.. و لا إراديا لن ترى سوى المزايا.

من أشد تجسدات هذا التحيز هو في المرحلة الأولى النفسية من مراحل الحزن الخمسة، و هو الإنكار. كأن تحصل لك مصيبه عظيمه، من شدتها لا تستطيع أن تتقبل أنها واقع حدث فعلا. عقلك لا إراديا يجعلك تعيش في عالم خيالي لم تحدث فيه هذه المصيبة. و قد يتمثل ذلك أيضا في حالات الإدمان، حيث ينكر المدمن أنه لا يستطيع الإقلاع، و هو فعلا مقتنع بهذا. يعتقد فعلا أنه قادر على ترك الإدمان متى ما أراد. هذا تجسد قوي للتحيز للمصلحة، لأن الاقتناع بأنه غير مدمن سيجعله يعيش في طمأنينه أكثر بأنه قادر على الإقلاع متى ما أراد. أما الإقتناع بعكس ذلك، سيجعله متوتر و خائف لا يدري كيف يسترد إرادته أمام هذا الإدمان.

الشاهد من شرحي للتحيز، هو أننا كبشر لدينا مصالح من استنتاجاتنا العقلية بخصوص أسئلة الأديان و الوجود ككل. أجوبتنا لهذه الأسئلة لها توابع جسديه و نفسيه علينا و على حياتنا و حياة من حولنا.. لهذا من الطبيعي جدا أن تجد عقلك لا إراديا يخوض في كل تلك التحيزات حتى يصنع أفضل مستقبل لك.

أمثلة هذه المصالح كثيره، و كثير منها يرددها المسلمون بشأن اللادينيين و الملحدين. منها أن الملحد ترك الإسلام لأنه يتبع شهواته. الملحد يريد أن يسكر و يزني و يفعل المعاصي دون تأنيب ضمير. بمعنى أن

هذه الشهوات تجعل الملحد يتحيز للإستنتاج العقلي الذي يرفض الإسلام حتى يستطيع أن يرتاح نفسيا من هذه القيود. و أنا كلا ديني.. أقر أن هذه الشهوات موجودة. بطلان الإسلام يجعلني أرتاح نفسيا عند سماع الأغاني. أرتاح نفسيا عندما أعمل في بنك ربوي. أرتاح نفسيا عندما لا أقطع نومي بصلاة الفجر. كل هذه الأمور هي معاصي في الإسلام. إذا كان الإسلام حق، فعلي إما أن أتركها، و هذا صعب، و إما أن أعيش في ندم الذنب، خائفا على نفسي من العذاب، و هذا عذاب في حد ذاته.

و لكن ما لا أسمعه كثيرا بين المسلمين، هو أن لهذه المسأله وجه آخر، و هو وجه المصلحه في الإقتناع بالإسلام. يتحدث المسلمون كثيرا عن بعض هذه المصالح، و لكن لا تكاد تسمع كيف أن هذه المصلحه قد تلعب دور في التحيز العقلي للإسلام. من هذه المصالح.. الراحه و الطمأنينة بالإيمان.. أو ما يسمى بحلاوة الإيمان. من المصالح، الشعور بوجود أبوي يحميني عند الحاجة، يعزيني عند الفقدان، ألجأ إليه في أي وقت. من المصالح هو وضوح الرؤية و الهدف في هذه الحياة.. وضوع الغاية من الوجود.. بعيدا عن وحشه و تيهان الإلحاد. كل هذه الأمور أقر بأنها موجودة في الإسلام.. بل و ربما أضيف عليها مصلحة التناغم مع المجتمع.. لأنك إن رفضت الإسلام، إما أن تعيش منافق أو تتصادم بشراسه مع مجتمعك.. و كلاهما شر عليك.

كثير من المسلمين يتفاخر بهذه المصالح، بل من روعتها يحتج بعضهم بها على صحة دينه، رغم المغالطة المنطقية في ذلك. ما أريد توضيحه هنا هو أنه كما توجد شهوات و مصالح في جانب الإلحاد، توجد مصالح قويه جدا في جانب الإسلام. لست هنا بصدد نعت المسلمين بأنه هم أيضا أصحاب شهوات، و إنما أوضح أننا أمام مصالح في الطرفين. بعضنا يفضل مصالح طرف، و بعضنا يفضل مصالح الطرف الآخر. بعض هذه المصالح له تأثير عميق جدا على حياتنا و على فهمنا للوجود. هذه المفاهيم قد تغير حياتنا ككل، سواء في الأهداف بعيدة المدى، أو حتى في الأعمال اليومية. لذلك من الطبيعي أن ندخل لا إراديا في متاهات التحيزات دونما أن نشعر.

لسنا أجهزة كمبيوتر نستطيع إعادة برمجة أنفسنا لتجاوز هذه التحيزات. نحن بشر، و هذه عقولنا. و لكني أراه من الصحي أن ننتبه لوجود هذه التحيزات. أن نعرف أن العقل يلعب دور شديد في صنع تصور الحقيقة، ليس لأننا رأينا الحقيقة فعلا، و إنما لأن لدينا مصلحه في أن تكون الحقيقه هكذا.

كان هذا توضيح بسيط لفكرة التحيزات، و سأوضح لاحقا بتفصيل أكثر الدوافع النفسية لدى المسلم للبقاء في دينه.

النظرة من داخل الصندوق

أحد تجسدات النظرة من داخل الصندوق، هو التأويل من داخل الصندوق.. و هو أن تقوم بتفسير نص إسلامي بنظرة شخص داخل الإسلام. بمعنى أنك تفترض أن صاحب هذا النص هو الله، و الله يستحيل أن يخطئ، و هذا الإفتراض يؤثر على تأويلك لهذا النص. فمثلا عندما تواجه نص يحتمل تأويلين.. التأويل الأول هو خطأ علمي صريح، و التأويل الثاني مقبول علميا. تجد نفسك تميل مباشرة للتأويل الثاني، حتى لو كان التأويل الأول أكثر صراحة و مباشرة، و موافقه لفهم الناس في ذلك العصر. بالإضافة إلى ذلك، عندما ترى نصا يحتمل تأويلين، الأول تأويل عادي، و الثاني تأويل إعجازي.. تجد أنك أيضا تميل للثاني لأنه يتوافق مع تصورك أن هذا كلام معجز من الله.

قد يقول بعضكم، و ما الخلل في ذلك؟ أنا فقط أوفق بين استنتاجي بأن الله هو مصدر هذا الكلام، و بين التأويلات الموجودة.. ما الإشكال؟ الإشكال هو أنك بهذه الطريقة أتيت بالإستنتاج قبل البحث في التأويلات. هذه إشكالية منهجية في اختبار الأديان. فعندما تختبر الديانة الهندوسية على سبيل المثال.. فإنك لا تؤمن بمعتقداتهم، ثم تبحث عن تأويلات للنصوص و الفلسفة التي لديهم حتى تتقبلها عقليا. و إنما تنظر للمحتوى و تحكم عليه بعقلك. ما هو التأويل الأرجح؟ أي الأجوبة هي الأكثر منطقية؟ عندما تتأول من داخل

الصندوق، فإنك تعطي الإسلام أفضلية على غيره.. حيث تنظر له من الداخل.. بينما الصناديق الأخرى تنظر لها من الخارج.

إشكالية أخرى من إشكاليات النظر من داخل الصندوق، هو أنك تقوم بغض الطرف عن أي طعن في أي دليل من أدلة الإسلام، بحجة أن لديك أدلة كثيرة غيره. فلو فرضنا للتبسيط أن لديك مئة دليل على صحة الإسلام، و قمت بالطعن في أحدها، لاستخففت بطعني بحجة أن لديك تسعة و تسعون دليل آخر في صف الإسلام.. و أنه حتى لو كان طعني صحيح في هذا الدليل بالذات، فلديك الكثير غيره يؤكد لك صحة دينك. الفكرة تبدو سليمة للوهلة الأولى، و أنه فعلا كثرة الأدلة تخفف إشكالية بطلان أحدها. و لكن المشكلة هي أنه حتى و إن قمت بالطعن في جميع الأدلة المئة، و أثبت أنها ضعيفة أو باطلة.. فإنك تستمر بذكر الأدلة التسعة و التسعين عندما تقرأ أي طعن في أي دليل. عندما تكون في داخل الصندوق، فإن لديك مئة دليل في داخل قناعتك. و لكن عندما تواجه الطعن، فأنت تواجه الطعون واحدا تلو الآخر.. ولا تواجه مئة طعن في نفس اللحظة. هذا التسلسل يجعلك تستخف بأي طعن لسبب أنه واحد أمام مئة.

أما عندما تخرج خارج الصندوق.. فأنت تبدأ بصحيفة بيضاء، و تبدأ بالمرور على الأدلة واحدا تلو الآخر، و تدرس قوة الدليل. تقرأ الحجج الإسلامية، و تقرأ الطعونات الغير إسلامية.. و تقرر بعدها من الأرجح. هذه الطريقة هي الأقرب للحيادية و التمحيص في الدليل بحاله. يوجد فيلم جميل جدا من الخمسينات لتوضيح فكرة التصندق داخل عموم الأدلة بإسم:

12 Angry Men

الفلم رائع جدا في سرد عدة إشكالات عقلية تلعب في صنع القرار، من تحيزات و ضغوطات و غيره.. و الشاهد هنا هو كيف أن الإستمرار في الإرتكاز على مجموع الأدلة يعمي الشخص عن تفاصيل هذه الأدلة واحدا واحدا.

الردود المطاطية

الردود المطاطية هو نوع من أنواع النظر من داخل الصندوق، و لكنني خصصت له قسم بذاته لأن هذه الردود المطاطية سمعتها كثيرا جدا من المسلمين، دون أن يتنبهوا إلى توابع الاستخدام العقلي لهذه الردود. الإشكالية كما وضحتها في المقدمة، هي أن هذه الردود هي عامة جدا في نقضها للطعون على الإسلام، لدرجة أنه يمكن استخدامها لصد الطعون على جميع الأديان الأخرى.

من أشهر الأمثلة على هذه الردود، هو قول "لحكمة لا يعلمها إلا الله". هذه الجملة يتم استخدامها دائما لرد أي طعن في الدين بسبب عدم وجود تبرير عقلي. سواء كان الطعن في مسألة تشريعية، أو كان الطعن في طريقة إرسال الرسل، أو في أمور فلسفية، أو غيرها من الأمور.. يمكن دائما الرد على هذا الطعن إذا انتفت الأسباب العقلية بقول أن هذا الأمر هو بهذا الشكل لحكمة لا يعلمها إلا الله.

الرد فعلا منطقي.. ربما هناك سبب لا نعلمه، و لكن يعلمه الله. و لكن الإشكالية هنا هي أنه دائما هذا الإحتمال موجود في أي دين من الأديان. عندما تطعن في أي دين، و صاحب الدين يفتقر للتبرير.. أليس من المنطقي أن يرد بهذا الرد؟ إذا كان هذا الرد هو وقاء للإسلام من الطعون، ألا يكون أيضا وقاء للأديان الأخرى من الطعون؟

مثال آخر: الله ليس كمثله شيء. عندما تطعن مثلا في حديث نزول الله للسماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، و أن هذا دليل على الأرض المسطحة، و إلا لكان الله دائما في السماء الدنيا و ليس على العرش. يتم الرد بأن الله ليس كمثله شيء، و أن هذا نزول لا نعلم كيفيته. الرد هذا يروي عطش من هو داخل الصندوق.. و لكن.. ألا يمكن مثلا المسيحي أيضا أن يرد على طعون الثالوث المقدس بنفس هذا الرد؟ تسأله كيف يكون الله ثلاثه و في نفس الوقت واحد.. يقول لك.. الله ليس كمثله شيء؟ هل يسقط الطعن في الثالوث بمثل هذا الرد؟

الأمثلة الأخرى كثيرة.. مثل اعتبار إعادة النظر في الدين هي وساوس شيطان.. أو مثل اعتبار بعض الإشكالات في الإسلام في اختبار من الله لنا هل نؤمن أم نكفر.. و غيرها كثير. كل هذه الردود مطاطية جدا لدرجة أنها تنطبق على أي دين في هذا العالم. إذا كنا سنعطيها وزنا داخل الإسلام.. لماذا لا نعطيها وزن داخل الأديان الأخرى؟ كيف يمكن أن نختبر أي دين إذا كانت كلها مضاده للطعون؟

أدلة الإسلام

أدلة صحة دين الإسلام كثيرة و متنوعة جدا، و لا أظنني سأشملها كلها. بل ربما تختلف و تتنوع بإختلاف و تنوع المسلمين أنفسهم. من شدة تنوعها وجدت مسلمين يرفضون أدلة مسلمين آخرين. وجدت مسلمين يستدلون بمعجزات النبي مثل شق القمر و غيره، و وجدت مسلمين ينكرون معجزات النبي بآية (و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون). وجدت مسلمين يستدلون بأدلة الإعجاز العلمي، و وجدت مسلمين ينكرونها و يسخرون منها و يعتبرونها تجارة و تدليس بقيادة زغلول النجار و أمثاله على ظهور البسطاء. وجدت من المسلمين من يستدل بالتجارب الشخصية، مثل الأحلام أو استشعار الله، و وجدت من المسلمين من ينكر التجارب الشخصية و أنها ليس لها وزن عقلي في التحقق من صحة الدين. و بين هذا و هذاك.. هناك من يقر الأحاديث كلها، و هناك من يرفض الأحاديث كلها.. و كلهم مسلمون.

لا أظنني سأقدر على الحديث عن كل أنواع الأدلة و التفصيل فيها، و إنما سأتحدث بكلام شمولي عن أهم أنواع الأدلة و أسباب ضعف دلالتها، و ربما أوضح ببعض الأمثلة، بالذات في باب الإعجاز العلمي. أهم الأدلة التي سأتطرق لها: استحالة الإتيان بكتاب مثل القرآن – الإعجاز العلمي – معجزات محمد – دوافع محمد.

نبدأ بأشهر أدلة الإسلام و أكثرها انتشارا، ربما بسبب أن القرآن نص عليه، و هو أنه يستحيل الإتيان بمثل القرآن.

الإتيان بمثل القرآن.

الإستدلال على صحة الإسلام بإعجاز القرآن هو أكثر دليل اسمعه من المسلمين، و لا أذكر أني رأيت مسلما يطعن في هذا الدليل، و ربما سبب ذلك هو انه منصوص عليه في القرآن بأنه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن. بينما لو طرحت هذه الحجة لغير المسلم، لكان ضعف الحجة بديهي جدا له. و لعلي أوضحها بمثال.

افترض أن شخصا زعم أن مارادونا هو أفضل لاعب في التاريخ، و يستحيل أن تنجب الملاعب لاعب مثله. تقول له، ماذا عن بيليه؟ يقول لك لا، مارادونا أفضل. تقول له ماذا عن زيدان؟ يقول لك لا، مارادونا أفضل. ماذا عن ميسي؟ مارادونا أفضل.

هل اتضح لك الإشكال هنا؟ هذا الشخص زعم أن مارادونا هو الأفضل، و يرفض أي اسم آخر، دون وضوح لسبب كون مارادونا أفضل من هؤلاء كلهم. ما الذي يجعل مارادونا أفضل من غيره؟ عدد الأهداف؟ عدد البطولات؟ عدد التمريرات الناجحة؟ أم أن نخبة خبراء كرة القدم قاموا بالتصويت له؟ ماهو المعيار؟ و من الذي يحكم على المعيار؟ و لماذا تم اختيار هذا المعيار؟ هذا الإشكال في مثل هذا الزعم.. أنه يعتمد على ذائقة الزاعم و لا نرى طريقه موضوعية للتأكد من صحة هذا الزعم.

هذه بالظبط نفس الإشكالية في القرآن، بل الإشكالية أكبر.. لأننا أمام منتج أدبي بحت.. لا توجد أرقام نتحدث عنها كما هو الحال مع لاعبي كرة القدم (مثل عدد الأهداف أو عدد البطولات). عندما نتعاطى القرآن، لا نجد أي معيار موضوعي. ماهو المعيار الموضوعي المحتمل؟ عدد الآيات؟ عدد التشبيهات؟ عدد القصص؟ طول السور؟ كلها أمور لا يقبلها المسلم كمعيار.. لأن هذه أمور ليس لها وزن أدبي.

فإذا كان المعيار الموضوعي غير موجود، فإلى ماذا نحتكم؟ إذا تحدثنا عن أمور مثل البلاغة و الإيجاز و جمال الألفاظ، فمن الذي يحكم على أن القرآن هو الأفضل في هذه الأمور؟ ربما أحدنا يرى القرآن هو الأفضل، و ربما غيره يرى كتابا آخر أفضل. فمن الذي يحدد أن القرآن هو الأفضل؟ شخص يرى تكرار

الآيات ضعف في جودة القرآن اللغوية، و الآخر يراها تذكير.. كيف نحكم؟ هل كل شخص يعتمد على ذائقته ليحكم بنفسه؟ ماذا عن من لا يعرف شيئا في البلاغة؟ ماذا عن من لا يعرف اللغة العربية بتاتا؟ كيف يكون هذا الدليل حجة عليهم؟

و حتى أنا العربي و أفهم شيئا يسيرا في اللغة العربية، لا أرى إعجاز على الإطلاق في القرآن. بل أراه أضعف بكثير من غيره. لا أرى سوى خليط من الشعر و النثر. لا يحتوي على قيود الشعر، فقط ألفاظ مطوله بقافيه. لهذا أجد أنه أصعب بمراحل علي أن أكتب شعرا من أن أكتب كلاما مطولا بقافيه مثل القرآن. و أما المحتوى الجمالي، نعم توجد آيات جميله، و لكنه في غالبه مليء بتكرار و إعداة لسرد نفس الأمور. كما أنه في أحيان كثيرة ضعيف في توصيل المعنى، بشهادة علي ابن أبي طالب من أن القرآن حمال أوجه. بل القرآن نفسه يتحدث عن وجود المتشابه من الآيات. فأين البلاغة و المعنى حمال أوجه و متشابه؟ كما أنه يفتقد لتوضيح الناسخ و المنسوخ، و يفتقد كثيرا للسياق.. و لا تدري ما الأحداث التي يتحدث عنها القرآن. كلها أمور تخل جدا بهذا الكتاب. يقول بعضهم أن هذه الأمور توضحها السنة، و لكن حتى هذه السنة مختلف عليها، و كثير من الآيات لا تزال مجهولة السياق، و أسباب نزولها ليست سوى اجتهادات لربطها مع أحداث تاريخيه.

خلاصة كلامي هو أن المسألة تعتمد على الذوق، و ليست مسألة موضوعية.. و لهذا لا أرى كيف أقتنع بهذا الدليل و أنا لا أرى بلاغه خارقه للعادة.. بل أرى مؤلفات بشرية كثيرة جدا هي أفضل لتوصيل المعلومة، و أوضح سياقا بكثير من القرآن. أضف لذلك من لا يتحدث العربية إطلاقا، هل يجب عليه أن يتعلم العربية ليطلع على الدليل و يحكم؟ أم يكفيه أن يقرأ الترجمة؟ دونما معايير واضحة لهذا التحدي، فهو ليس سوى زعم بأن القرآن هو أفضل كتاب، كمن يزعم أن مارادونا هو أفضل لاعب. لا نرى معايير للتأكد من هذا الزعم، و لا ندري من يكون الحكم في تحديد الأفضل.

الإعجاز العلمي

أذكر حتى منذ أيام إسلامي، لم اكن ارتاح لهذا الدليل. ربما آيه هنا او هناك تثير دهشتي، و لكن الكمية المهولة من مزاعم الإعجاز العلمي كنت أراها مبالغة صارخة تثير الاشمئزاز. حتى أذكر أحد زملاء دراستي في الخارج أخبرني أنه في سبيل الدعوة أعطى أحد المدرسين كتابا باللغة الإنجليزية عن الإعجاز العلمي في القرآن، و أذكر أني شعرت لحظتها بخجل شديد.. و أننا نقوم بتقديم هذا الكتاب الركيك جدا منطقيا، لشخص أكاديمي داخل بيئة أكاديمية اعتادوا فيها على التمحيص في الدليل ألف مره قبل قبوله.

كل أمثلة الإعجاز العلمي لا تخرج عن إما أن تكون المعلومة معروفة في وقتها، و لهذا لا يوجد جديد هنا.. أو إما أن النص غامض و غير صريح و يحتمل معاني عدة، و تم استغلال الغموض لربطه مع اكتشاف حديث. ضعف دلالة هذه الحجج واضحه جدا.. و لكن عندما يكون المسلم مؤمن أساسا بالقرآن.. فإنه لا يتكلف عناء البحث و التحميص.. و أنه مؤمن بهذا الكتاب، سواء كان الزعم مصيب أم مخطئ. فلعلي هنا أوضح نظرتي كلاديني لماذا هذا الدليل ليس له وزن عقلي.

الحالة الأولى: معلومة معروفة في زمن محمد

أحد أمثلة الإحتمال الأول هو الإعجاز العلمي في البرزخ الذي بين الماء العذب و المالح. الزعم هنا أن القرآن أتى بمعلومة لم تكتشف إلا حديثا. و لكن الواقع أن المعلومة معروفة منذ ربما آلاف السنين. فالبشر يعرفون النهر و ماءه العذب، و يعرفون البحر و ماءه المالح.. و يرون أن المالح لم يختلط بالعذب.. فلا جديد هنا إطلاقا. و الغريب أنك تجد مسلمين يأتون بصور توضح هذا الحاجز بين النهر و البحر، دون أن يفكر في أن البشر يستطيعون رؤية هذا الأمر بأعينهم على مدى التاريخ. يرد بعضهم بأن محمد لم يركب البحر قط، و لهذا يستحيل أن يعرف هذا الأمر. و هذا احتجاج ركيك جدا.. فتفاصيل حياة محمد قبل النبوة قليلة جدا او شبه

معدومه حتى نتأكد من عدم ركوبه البحر. و حتى لو لم يركب البحر، فلا غرابه أن تصله المعلومة ممن ركب البحر. فمحمد و قريش ليسوا في كهف في معزل عن العالم.. بل في تجاره حيه و تأتيهم قوافل من كل مكان.

مثال آخر مشهور معلوم في ذلك الوقت هو ذكر مراحل الجنين من مضغه إلى علقه، إلى عظام، ثم كسوة العظام باللحم. حتى لو لم يكن هذا الوصف معروفا في ذلك الزمن، فهو خاطئ من أساسه.. و السبب أن العظام و اللحم تنمو سوية.. و ليس كما ذكر القرآن بأن العظام أولا ثم كسوتها باللحم. و لو غضضنا الطرف عن هذه الإشكالية.. فمثل هذا الوصف موجود في كتابات فلاسفة الإغريق مثل أرسطو و غيره. و المسألة ليس فيها أي قدرة خارقه للعادة.. فالبشر على مر التاريخ يرون النساء يسقطن أجنتهن في مراحل عدة من الحمل.. و يتبين لهم تصور عن مراحل نمو هذا الجنين. فلا إعجاز هنا.

الحالة الثانية: نص غامض غير صريح

ربما السواد الأعظم من مزاعم الإعجاز تدخل في هذه الحالة، و هي نصوص حمالة أوجه يتم ربطها، في الغالب تكلفا، مع اكتشافات علمية حديثه. كثير جدا من هذه المزاعم تثير الإشمئزاز، مثل وجود سرعة الضوء في القرآن، أو مثل الزعم بأن (الجوار الكنس) هي الثقوب السوداء.. و لك أن تطلع على مؤلفات الشيخ الزنداني او زغلول النجار لترى بنفسك. و لن أتحدث عنها هنا لبداهتها. و لكني سأذكر مثال لنص له وجه في التأويل، و سأوضح الإشكالية فيه.

المثال هو آية (و من يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء). الزعم هو أن الآية تتحدث عن ضيق الصدر عند الصعود في السماء، و هو مشابه لما يحدث من نقص الأكسجين. التأويل أراه مقبول جدا لغويا، و لا يحتوي تكلفات. إذا أين الإشكال؟ الإشكال ببساطة، كما هو الإشكال في جميع أنواع هذه الحالة، هو أن النص غير صريح، و إنما هذا وجه من وجوه التأويل المقبولة. فالوجه القديم لتأويل هذا النص كما في كتب التفسير، هو أن من يرد الله أن يضله، سيجعل صدره ضيقا يستحيل معه دخول

الإيمان إليه.. كما هي استحالة الصعود للسماء. فإذا كان النص يحتمل تفسير عادي.. فكيف لنا أن نجزم بأن النص معجز؟ لا يمكننا ذلك.. و هذا بالظبط هو الشاهد.

بعضكم قد يرى بعض نصوص الإعجاز العلمي صريحة جدا و ليس لها أوجه تأويل. سؤالي لمن يرى ذلك: هل يوجد مثال واحد لإكتشاف علمي تم من خلال الإعتماد على النص القرآني؟ أم أن الذي يحدث هو أنه بعد الوصول للإكتشاف العلمي، يظهر شخص و يربط هذا الاكتشاف بهذا النص؟ إذا كان ربط النص بالإكتشاف حدث لاحقا، فأين الصراحة في النص؟ لماذا لم يقودنا النص للإكتشاف مباشرة؟ المسألة ليست إلا البحث بأثر رجعي في النصوص القرآنية لإصطياد ألفاظ توافق العلم الحديث.. لا توجد صراحة و مباشرة إطلاقا.. بل السواد الأعظم من مزاعم الإعجاز تعتمد على تكلفات لغوية سيئة جدا.

قد يقول بعضهم: و لكن لو سلمنا أن تشابه النص القرآني مع العلم الحديث هو صدفه تشابه ألفاظ.. هل يعقل أن يحدث تكرار هذه الصدف بهذا الشكل؟ أليس تكرار صدف تشابه الألفاظ هو إعجاز بحد ذاته؟

الجواب ببساطة هو أن المسألة ليست صدفه إطلاقا. المسألة هي اصطياد ألفاظ لغرض معين. و كل من أراد دعم الغرض الذي يريد، سيجد آيات عديدة توافق غرضه، و سيعتمد على مسألة تكرار تصادف الألفاظ ليؤكد صحة كلامه. فعلى سبيل المثال، نرى الليبراليين المسلمين يستخدمون القرآن و السنة لدعم أغراضهم. فهم يؤمنون بمبادئ الحرية و الديموقراطية.. فتجدهم يقتبسون كثيرا من النصوص التي تقر الحريات و الشورى و غيرها.

بل يمكننا أن نقلب الإعجاز العلمي على رأسه، و نصطاد الألفاظ التي توافق الأخطاء العلمية، أو الخرافات التي كانت موجودة في ذلك الزمن. فنرى على سبيل المثال القرآن يتحدث كثيرا عن بسط الأرض، و مهد الأرض، و دحي الأرض.. و كلها أمور توافق التصور بأن الأرض مسطحة. فلو قلنا أن تشابه اللفظ

القرآني مع الخطأ العلمي هو صدفه، فهل يعقل أن تتكرر هذه الصدف بهذا الشكل؟ أليس تكرار تصادف القرآن مع خرافات ذلك الزمن دليل على بطلانه؟

هذا بالظبط هو ذات الإحتجاج بالإعجاز العلمي. يمكن قلبه ببساطة ليصبح عن الأخطاء العلمية في القرآن. فالمسألة ليست إلا إصطياد في نصوص القرآن بحثا عن ما يوافق الغرض الذي أريد. إذا أردت إعجاز، سأجد ذلك، و إذا أردت أخطاء سأجد ذلك. و لهذا، العبرة بصراحة اللفظ.. أي أن يقود النص إلى الإكتشاف العلمي.. و هذا ما لم نره على الإطلاق في مؤلفات الزنداني و زغلول النجار.

لهذا السب.. مزاعم الإعجاز العلمي ليس لها أي وزن.. لأنها في الغالب ليست سوى تكلفات في التأويل. و حتى التآويل المقبولة، ليست صريحة كفاية. و أمام كل تأويل إعجازي.. يمكنك أن تجد تآويل في صف الأخطاء العلمية.. بل كثير جدا من ألفاظ الأخطاء العلمية صريحه جدا تحتاج تتكلف في التأويل لتتجاوزها. بل في بعض أمثلة الأخطاء العلمي التي ستأحدث عنها لاحقا، سترى أن شدة التكلف في التأويل لتجاوز الخطأ العلمي جعلت بعض علماء المسلمون يقاومون هذا التأويل المتكلف لفترة من الزمن، و يصرون أن الخلل في الإكتشاف العلمي و ليس في النص القرآني (مثل ما حدث مع ابن باز و مسألة دوران الأرض حول الشمس).

معجزات محمد

بعض المسلمين يستدلون بالمعجزات التي قام بها محمد، و يعتبرونها دليلا على صدق نبوته، مثل معجزة انشقاق القمر. و هناك أيضا معجزات نزول الماء من يد محمد في بعض الغزوات حتى يرتوي الجيش.. و غيرها من المعجزات الأخرى. لن أتبحر في الأمثلة لأن الإشكاليات عامة في هذه المزاعم.. ولا يصمد أي منها لأن يكون دليل عقلي قوي في صف الإسلام. و كما ذكرت سابقا، فإنه يوجد مسلمين ينكرون هذه المعجزات بآية (و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون). فإذا لم يتقبل كل المسلمين هذا الدليل، كيف تتوقع من لا ديني أن يتقبله؟

على كل حال و بإختصار.. الإشكالية العامة في هذا الزعم هو عدم وثوقية حدوث مثل هذه الأمور تاريخيا. يقول أحدهم: و لكنها مروية في أحاديث صحيحة؟ أقول: و لو كانت صحيحة. بل و أضيف: و لو كانت متواتره (رغم أنها ليست متواترة إطلاقا.. بل السواد الأعظم من الأحاديث هي أحاديث آحاد.. و هي ظنية بشهادة المسلمين أنفسهم). ربما البعض يرى أني أكابر هنا برفضي المطلق لدلالة هذه الروايات.. و لكن لعلي أوضح.

هل سمعتم بشخص يدعى الساي بابا؟ هذا الشخص هو عبارة عن قائد ديني في أحد الديانات الشرق آسيوية. هذا الرجل له أتباع ربما في الملايين.. و يقوم بتنفيذ معجزات أمام الآلاف من أتباعه المبهورين به.. و المصدقين أنهم رؤوا معجزة إلهية أمامهم. لا نتحدث عن رجل قبل قرون، بل رجل في هذا العصر و لم يمت إلا قبل بضعة أشهر. بمعنى أننا أمام آلاف من البشر على قيد الحياة الآن.. ممن يشهدون أنهم رأوا هذا الرجل يقوم بمعجزات. بمعنى آخر.. نحن أمام شهادات "متواترة" حية.. تقر بأن هذا الرجل فعل معجزات.

ذكرت هذه المعلومة عدة مرات لمسلمين.. و لم أرها يوما هزت شعره فيهم. لم يندهشو من خوارق هذا الرجل.. و لم يتوقفوا للحظة في التفكير في أنه ربما يكون لدينه أي وزن. و هذا أيضا كان ردة فعلي أنا

عندما قرأت عنه.. و أتصوره أنه ردة فعلك أنت عزيزي القارئ. و لعلك تتفكر قليلا.. لماذا لم تثر فيك شيء معجزات هذا الرجل؟ فنحن أمام روايات متواتر لمعجزات الساي بابا.. و الروايات بالآلاف.. بينما لا يوجد حديث متواتر واحد يروي معجزه لمحمد. أضف لذلك.. الشهادات هي من ناس على قيد الحياة.. و لسنا نبحث في شهادات و روايات لأمور حدثت قبل أكثر من ألف سنة.

ما تشعر به من تهافت الزعم بأن الساي بابا قام بالمعجزات.. هو ذات الشعور الذي نشعر به معشر اللا دينيين تجاه مزاعم معجزات محمد. هو ذات الشعور الذي تشعر به عندما يأتي صديقك و يقول انه تعشى البارحة في المريخ. الشعور بأن المسألة بديهيا غير صحيحه و لا تحتاج أن تتكلف عناء البحث فيها.. لأنه باختصار لا زلت لم ترى مصداقية كافية في هذه الروايات، حتى المتواتر منها، ليكون لها وزن أمام صلابة الواقع.. و أنك لم ترى أمورا خارقه للعادة في حياتك. طوال حياتك تعلم أن هذه الأمور لا تحدث.. تعلم أنها مستحيله.. ثم يأتيك شخص و يقول أن المستحيل حدث. لن تصدق حتى لو زعم ذلك اثنان.. او ثلاثه.. أو عشره.. أو مئة. لأن استحالة المستحيل مترسخة في داخلك على مدى حياتك.. و لا تهزها بسهولة "المزاعم". بل حتى لو رأيت المستحيل يحدث بعينك، لربما شككت في عقلك و ذهبت لطبيب نفسي.

و هذا بالظبط الفرق النفسي الذي تشعر به تجاه مزاعم محمد و مزاعم الساي بابا. معجزات محمد ليست أمرا مستحيلا. بل منذ الصغر و أنت تتعلم أنه رسول من عند الله.. و أن الله ينصره بالمعجزات. لهذا لا تشعر نفسيا برفض أن يقوم هذا الرجل بالمعجزات.. لأنك تربيت على أنه يستطيع ذلك.. لا تجد النفور من رواية أبو هريرة لمعجزة من معجزات النبي. لأنك تربيت على معرفة محمد و معرفة أبو هريرة.. و تثق في محمد، و تثق في أبو هريرة. بينما في المقابل تجهل الساي بابا.. و تجهل كومار الذي يشهد على المعجزة.. فببساطة تقوم بإدخالهم ضمن القانون العام في الحياة.. و هي أن المستحيل لا يحدث. لهذا لا تشعر بشيء عند السماع عن معجزات الساي بابا.. بل ربما تشعر بالضحك و السخرية منها.

خلاصة ما أقوله هنا.. أننا لا نحتاج للتفصيل في سند و متن الحديث. المسألة أبسط من هذا بكثير. نتحدث عن زعم عظيم.. خرق لقوانين الطبيعة. زعم بهذا الحجم لا نقبله بشهادة مجموعه.. فما بالك بشهادة "فرد" كما في أحاديث الآحاد. و لهذا تجد نفسك ترفض معجزات الساي بابا. تفكر قليلاً.. و حاول أن تجد مبرر مقنع.. يجعلك ترفض شهادات من شهدوا معجزات الساي بابا، و تقبل شهادات من شهدوا معجزات محمد. ربما أكون مخطئ و تجد فرق جوهري، و ربما أكون على صواب.. و لا يوجد فرق بينهم سوى أنك تربيت على تعظيم محمد و قبول المعجزات منه.

نبوءات محمد

أردت أن أضيف تعليق بسيط على فكرة نبوءات محمد، وذلك لأنها لا تعتمد بشده على الشهادات كما مزاعم المعجزات. و مثل ذلك، حديث التطاول بالبنيان، و أن مصداق ذلك هو ما نراه هذه الأيام ناطحات السحاب في دول الخليج.

تعليقي على ذلك.. هو أن جل نبوءات محمد هو من نوع النبوءات الغير محددة. بمعنى، أنه لا يوجد تحديد زمني حتى يمكننا أن نختبر النبوءة. هذه النبوءات ليس لها وزن، لأنه ببساطة لا يمكنها أن تخطئ، و لهذا لا يمكن اختبارها. يتحدث محمد عن أمور كثيرة جدا في المستقبل.. إن أصاب شيء منها.. كان بها.. و إن لم يصب.. قلنا لم تحدث النبوءة بعد. و لعلك تتفكر في حديث نبوءة ظهور الدجال بعد فتح القسطنطنية، و ما هو رد المسلمين على كونها لم تتحقق.

دوافع محمد

كثير من المسلمين يستدلون على صدق محمد بأنه لم يكن له دوافع. و أنه كيف لشخص أن يعيش خلال كل هذا العذاب و كل هذه المشاق في سبيل الدعوة، بينما هي دعوة كاذبة؟ كيف يكون كاذب و يصدقه كل هؤلاء الناس؟ هل يعقل أنه استطاع أن يخدعهم جميعا؟ و إذا كان هدفه المال و النساء و السيادة، لماذا لم يوافق على عرض قريش له بالمال و النساء و سيادة القوم دون الخوض في كل هذا العناء؟

قبل أن أوضح تفسيري لدوافع محمد و كيفية ظهور الإسلام.. أحب أن أوضح ركاكة حجة عرض قريش له بأن يتسيدهم. السبب ببساطة هو أن موافقة محمد لمثل هذا العرض ستفض الناس عنه، و يتركه أتباعه، و لا يراه الناس إلا كاذبا مستقصدا السلطة. و عندما يتركه الناس، لم يعد يوجد ما يمنع قريش أن تنتزع السلطة منه.. لأنه لم يعد له دعوه و لم يعد له مصداقية بين قومه.

عودة لتفسير دوافع محمد و ظهور الإسلام.. لا أزعم أن تفسيري هو الصحيح.. و إنما تفسيري ليس إلا احتمال منطقي، من بين عدة احتمالات، لتفسير كيف يمكن أن يكون الإسلام ظهر دون تدخل إلهي. تفسيري لظهور الإسلام هو أن محمد كان مقتنع إلى حد بعيد أنه نبي من عند الله. كان محمد مصاب بالشيزوفرينيا.. و كان كثيرا ما يرى و يسمع تهيئات لا يراها و يسمعها غيره. و لعل القارئ يبحث في اليوتوب عن فيديوات تمثل وجهة نظر المصاب بالشيزوفرينيا، حتى يتضح له مدى قوة و واقعية التهيئات و الأصوات التي يراها المصاب. يمكن البحث في قوقل أو اليوتوب بهذه العبارة:

Schizophrenia simulation

الشيزوفرينيا ليست بالضرورة جنون يخل بالعقل.. بل كثير يصابون بها و يستطيعون العيش كبشر طبيعيين خلالها.. و ربما من أشهرهم العالم الأمريكي جون ناش، الحاصل على جائزة نوبل. لهذا عندما

أتحدث عن أن محمد كانت لديه أعراض شيزوفرينيا، لا يعني هذا أنه مجنون مختل عقليا. بل قواه العقليه معه.. و لكنه قد يرى أشياء لا يراها غيره.. و قد يسمع أشياء لا يسمعها غيره.

محمد سمع رأي ورقة بن نوفل فيما حدث له.. و عاش حياة شك بين قناعتين.. هل هو نبي أم مجنون؟ بل حتى بعض الأحاديث تشير إلى أنه كاد يقذف بنفسه من قمة الجبل من شدة ما يمر به. لكنه في الأخير طغت عليه مرحلة الإنكار النفسية، إنكار أنه مجنون، و انتهى به الإقتناع بنبوته، بالذات بعد أن صرح لقومه أنه نبي.. فلا يستطيع أن يعود عن ما قال. فعندما تكون بين خيارين.. أحدهما تكون فيه مجنون و ذليل قومك.. و الآخر لا تكون عاقل فقط.. بل رسول من خالق هذا الكون.. تكون في مكانة إبراهيم و موسى و عيسى.. لا غرابة أن تشتد حالة الإنكار النفسي و يقنع محمد نفسه بأنه نبي.

بالنسبة للقرآن.. فقد بدأ بكونه أصوات أو أحلام يسمعها.. كل ما سمعها محمد.. تلاها على من حوله. و لكن قد يسأل أحدكم.. هل يعقل أن يكون كل هذا القرآن أصوات و تهيئات و أحلام؟ الجواب طبعا لا.. القرآن مليء بتفاصيل و قصص و أحكام بتفكير مسبق.. و يستحيل أن يكون هذا الكم الهائل مصدره تهيئات و أحلام. إذا كيف أتى هذا القرآن؟ الجواب ببساطة.. محمد قام بتأليفه.

و لكن.. كيف يقوم محمد بتأليف القرآن، و يقتنع أنه فعلا نبي من عند الله؟ فعلا قد تبدو الفكرة غريبة جدا، و لكن رأيي هو أن محمد كان يؤلف القرآن و يقتنع أنه من عند الله.. بالظبط كما يقاتل في المعارك، و يقتنع أن الله نصره. مع مرور الزمن، لم يكن هناك قرآن كافي في التهيئات و الأحلام للتعامل مع ما يحدث أمامه في الواقع.. بل و يبدو أن التهيئات و الأحلام توقفت لفترة من الزمن كما نسمع عن فتور الوحي. و لهذا بدأ محمد يتساهل في إنزال القرآن.. و بدأت أفكاره و مشاعره تقوده في إنزال القرآن. فعندما تواجه مع عمه أبو لهب.. غضب و تجسد غضبه في هجاء لعمه في سورة المسد. لحظات إلهام.. لحظات اتقاد الذهن..

لحظات يشعر محمد أنها مناسبة لنزول القرآن.. يتلو محمد ما يشعر أنه مناسب للحدث.. و يؤمن أن هذا هو إيحاء من الله.

ما تلا ذلك من أحداث ليس إلا كما يحدث من ظهور أتباع لأي فكرة أو دين. هناك الكثير ممن اقتنعوا بما يقول.. تعلقوا بفكرة التوحيد.. تعلقوا بفكرة تساوي البشر أمام الله.. كبار قريش و العبيد سواسية أمام الله.. و لا فرق إلا بطاعة الله.. كل هذه أفكار نبيلة و عظيمة جدا تجعل الإنسان لا يهاب الموت في سبيلها.. فما بالك إذا كان نتيجة ذلك الخلود في الجنة؟ ازدياد الأتباع.. و ازدياد الإنتصارات.. جعلت قناعته بنبوته تترسخ أكثر و أكثر.. و جعل أتباعه يقتنعون أكثر و أكثر.

مدعي النبوة كثر

حتى لو كنت أخطأت في التفاصيل في تفسيري لكيفية ظهور الإسلام.. فالأمر ليس بتلك العظمة الإلهية على الإطلاق. فمدعي النبوة كثر جدا على مر التاريخ.. و كثير منهم أتوا بكلام و نصوص يزعمون أنها من الله.. و كثير منهم تعذبوا في سبيل دعوتهم. فأين الدلالة من قصة ظهور الإسلام؟ لدينا أمثلة ديانات البهائية و القاديانية، و التي هي باطلة في الإسلام.. أسسها أناس بعد محمد زعموا النبوة أو القداسة.. و ظهر لهم أتباع.. و لم يكن هذا دليل على صدقهم.

مثال آخر، نبي ظهر في أمريكا قبل قرن و نصف، اسمه جوزيف سميث، و أتى بكتاب من عند الله، و أسس الديانة المورمونية. هذا الشخص هو أيضا تعذب في سبيل دعوته.. بل و تم قتله في سبيل هذا الدين. كيف تكون قصة محمد لها دلالة على صحة الإسلام، بينما قصة جوزيف سميث ليس لها وزن؟

قصة محمد لا تحتاج تحليل نفسي للتأكد من نبوته.. فبغض النظر عن مدى صعوبة التأكد من تفاصيل أحداث أمور قبل 14 قرن.. فإننا نرى أمثله حول العالم لأناس زعموا النبوة أو الألوهية، و تأذوا في سبيل دعوتهم.. و يستحيل أن يكونوا كلهم على صواب.. لأن كل واحد يهدد الآخر بجهنم. نحن أمام ظاهرة طبيعية

في البشر.. و هو وجود أناس يزعموا النبوة.. و يتأذون في سبيلها، بغض النظر عن كونهم مقتنعين بها أم لا. فإذا كانت هذه ظاهرة بشرية.. فأين الدلالة في قصة محمد و تأذيه في سبيل دينه؟

الخلاصة في أدلة الإسلام

الخلاصة هي أنه لا يوجد أي دليل قوي في صف الإسلام. زعم إعجازية القرآن ليس إلا زعم، كمن يزعم أن مارادونا هو أفضل لاعب. المسألة أدبية بدرجة عالية جدا و تعتمد على الذائقة.. و ليس لدينا طريقة للمقارنة و اختبار ما اذا كان الكتاب الفلاني أفضل من القرآن أم لا. أما معجزات محمد فليست إلا شهادات آحاد، و هذه ليست دليلا على كسر المستحيل. و المثال على ذلك هو معجزات الساي بابا، و وجود المئات او الآلاف من أتباعه الذين شهدوا معجزاته.. و مع ذلك لا نعتبر هذا الكم الهائل من الشهادات المتواترة دليلا على وجود المعجزة.

أما الإعجاز العلمي فليس إلا صيد في النصوص للبحث عن ما يوافق المغزى. فكما أنه يمكن اصطياد نصوص تبدو اعجازية، يمكننا اصطياد نصوص تبدو خاطئة علميا. كل نصوص الإعجاز لها معاني عادية جدا.. و السواد الأعظم من مزاعم الإعجاز تلوي النصوص لتوافق اكتشاف علمي. و أما من يستشهد بحياة محمد، و كيف تعذب في سبيل الدعوة، فهناك من زعموا النبوة كذبا و تعذبوا في سبيل دعوتهم، و بل و ماتوا من أجلها. فهذا الأمر يحدث مع البشر.. فلا إعجاز في قصة محمد.

هذا أهم سبب يجعلنا نترك الإسلام.. و هو عدم وجود دليل على صحته. لا فرق بين الإسلام و أي دين آخر إلا أننا ولدنا فيه.. تعلمناه و تشربناه منذ طفولتنا. لا نتجرأ أن نحاول إعادة النظر فيه.. و من يكتب نقدا في الإسلام أو القرآن فهو للأسف يستحق القتل في وطني الحبيب.

إشكاليات الإسلام العلمية

بعد الإنتهاء من توضيح ضعف أدلة الإسلام.. ننتقل لإشكاليات الإسلام. الإشكاليات هي أخطاء أو أمور لا تتصور أن تكون أتت من عند الله. تتنوع هذه الإشكاليات.. بعضها علميه.. كأن نجد أخطاء علمية في نصوص القرآن و الحديث.. و بعضها فلسفية.. كأن نجد أمورا غير منطقية أو غير أخلاقيه يصعب الإقتناع أنها من عند الله. سيعترض كثير منكم على بعض الطرح، و أن بعض الأمور تحتاج تعمق شديد، سواء في النظريات العلمية أو في فلسفة الأخلاق، و لكن هذا الإعتراض هو بحد ذاته إشكالية.. و سأتحدث عنها في الإشكالات الفلسفية تحت عنوان "تكليف و عقاب العامة".

سنبدأ مع الإشكاليات علمية، و سننتقل بعدها لإشكاليات أخرى. الإشكالات العلمية كثيرة جدا، و خصوصا التي في الأحاديث. و لكني سأختصر و أركز على أكثرها صراحة، و أكثرها وضوحا للمعنى و مصادمة للعلم.

تعارض قصة الخلق مع نظرية التطور

أحد أكبر الإشكالات العلمية في الإسلام، و في كل الديانات السماوية، هو تعارض نصوص الخلق مع نظرية التطور. نصوص القرآن و الحديث صريحة و واضحة في أن آدم مخلوق خلق مباشر.. و أن حواء مخلوقه من ضلعه.. و أن آدم طوله ستين ذراع.. و أن الخلق بدأ يتناقص منذ ذلك اليوم، بعكس ما نراه في الحفريات من أن البشر يزدادون طولا. كل هذه الأمور تتصادم بقوه مع نظرية التطور التي تنص بأننا مثل بقية الكائنات الحية، تطورنا من أصل مشترك.

هناك محاولات إسلامية في الدمج مع النظرية.. مثل أن آدم مصطفى من بين البشر الذين تطوروا و رفع للجنه.. أو أن التطور هو بذاته طريقة خلق الله للبشر. و بعضهم يرفض الأحاديث التي تصرح بأمور

مثل خلق حواء من ضلع أو مثل طول آدم حتى يتجاوز الخطأ العلمي. و في كل الأحوال.. النصوص القرآنية لا زال فيها صراحة كافية للتصادم مع النظرية مثل آية (خلقكم من نفس واحدة، و خلق منها زوجها).. و هو ما يتوافق مع حديث خلق حواء من آدم. قد يستطيع عدد قليل من الناس تقبل هذا التكلف في التأويل.. و لكن يبقى السواد الأعظم من المسلمين معارضين للنظرية رافضين لها تماما. و حتى محاولات الدمج بنظرية التصميم الذكي التي لا زالت غير مقبولة من قبل جل علماء الأحياء.. لا زالت هذه المحاولات بعيدة كل البعد عن ما يقوله الإسلام.. فنصوص الإسلام تشير إلى خلق حواء من ضلع.. و أن طول البشر تناقص من ستين ذراع إلى الطول الحالي.. و كل هذا يتصادم بشدة مع النظرية، سواء تطور بإنتخاب طبيعي أو تطور بتصميم ذكي.

أما إن كنت معارض للنظرية جملة و تفصيلا.. فلن أحاول شرح النظرية لك.. لأن الأمر يطول و سيبعدنا من الموضوع الأساسي و هو الإسلام. و لكن لعلي أصحح نقطة منتشرة جدا بين المسلمين، و هي أن نظرية التطور تجاوزها العلم، و أنها موجودة في الغرب ليس من باب أنها حقيقه علمية، و إنما من باب أنها من تاريخ النظريات. و هذا للأسف ليس إلا جهل أو تدليس على العامة. النظرية الآن ركيزة أساسية لعلم الأحياء.. مثل قوانين نيوتن في علم الفيزياء. النظرية تجاوزت مراحل التشكيك.. و القبول شامل تماما في جامعات العالم.. و لا أعرف رفضا لها سوى في مجموعة دينية تحت مسمى الديسكفري إنستتيوت. و إذا لم تصدق ما أقول.. لعلك تسأل أحد أقاربك المبتعثين في أمريكا.. اطلب منه أن يستفسر في كلية الأحياء عن نظرية التطور.. هل هي مرفوضه أم مقبولة لديهم؟ أو يمكنك أن تبحث في الانترنت عن نخبة جامعات العالم.. مثل هارفارد و اوكسفورد و غيرها.. و ابحث في منهج تخصص الأحياء.. و سترى بنفسك. بل ستجد للنظرية وجود في منهج الأحياء في جامعة الملك عبدالله في السعودية.

اجماع علماء العالم على صحة نظرية التطور ليس دليلا علميا على صحتها.. و إنما أوضح سوء الفهم المنتشر بأن النظرية اندثرت.. و أن العلم تجاوزها كما صرحت بذلك قناة الجزيرة في تقرير لا أستطيع

أن أقول عنه سوى أنه فشل مهني. و للأسف يتم التلبيس على المجتمع العربي بمثل هذه الخزعبلات.. و مثل كتب هارون يحيى.. بينما النظرية تجاوزت حتى كليات الأحياء في جامعات العالم.. و تجد لها الآن وجود في علوم أخرى كعلوم النفس و الفلسفة و غيرها.

الأرض المسطحة

هذه الإشكالية لا تحتاج إلى تخصص في الفلك، فكلنا نعرف أن الأرض كروية. و لكن في القرآن أجد نصوص تشير بقوة إلى أرض مسطحة، و هو ما يوافق المعلومة الشائعة في ذاك العصر. أمثلة ذلك:

(أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، و أغطش ليلها و أخرج ضحاها، و الأرض بعد ذلك دحاها)

(و السماء و ما بناها، و الأرض و ما طحاها)

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و ما لها من فروج، و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج)

(و السماء بنيناها بأيد و إنا لموسعون، و الأرض فرشناها فنعم الماهدون)

التأويل المعتاد لهذه الآيات هو أن البسط الذي يتحدث عنه القرآن، هو بسط نسبي.. أي أنها مسطحه كما يرى الرائي. بمعنى أن الأرض كبيرة جدا في كرويتها، لدرجة أن البشر الواقفين عليها تبدو لهم منبسطة.

هذا التأويل، على كونه مقبول لغويا، إلا أنه ضعيف عند النظر للسياق. إذا أعدت النظر لكل الآيات التي سردتها.. ستجد أن بسط الأرض جاء مقابلا و مرتبطا مع بناء السماء. بمعنى أن سياق الآيات، هو أنه وصف لجسم الأرض ككل، في مقابل جسم السماء ككل. لهذا، سياق الآيات يشير إلى أن الأرض ككل مبسوطة.. و هو ما يوافق الفهم الشائع في ذلك الزمن. التأويل بكروية الأرض ليس له مبرر إطلاقا سوى المبرر الديني، أو كما ذكرت سابقا: تأويل من داخل الصندوق.

و سنرى أيضا في الإشكالية القادمة إشارة إلى أرض مسطحة، و هو ما يدعم التأويل الذي ذكرته لهذه الآيات.

خرافة قصة ذو القرنين و يأجوج و مأجوج

قصة ذو القرنين هي ليست إشكالية واحدة، و إنما إشكاليات من عدة أوجه. نبدأ بالأولى، و هي إشكالية ذهابه لمغرب الشمس و مشرقها. سأضع الآيات للتوضيح:

(حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة و وجد عندها قوما)

(حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)

الآيات صريحة جدا في حديثها عن أماكن لشروق الشمس و غروبها. التأويلات الأخرى تتكلف في تأويل عدة عبارات، و ليس عبارة واحدة، و هو ما يجعل التأويل بأرض مسطحة أولى بكثير، خصوصا و أنه يوافق التصور الشائع للأرض، بالإضافة إلى أن القصة توافق إلى حد بعيد إحدى الخرافات الشائعة في ذلك الزمن.

التأويل الإسلامي يقول أن كلمة "مغرب الشمس" يقصد بها أقصى ما نصل إليه في الغرب.. أي أنه سار غربا حتى وصل إلى المحيط. و أما "وجدها تغرب في عين حمئة"، فهذا ما رآه ذو القرنين، و ليس وصفا حقيقيا لما يحدث.. و أن رؤية ذو القرنين لها هو كمن يرى الشمس على الشاطئ و كأنها تدخل في البحر.

إشكاليات هذا التأويل في عدة نقاط. الأولى.. التأويل المباشر لمغرب الشمس هو "مكان غروب الشمس". التأويل بأنه اتجه لأقصى الغرب ركيك لأن القرآن كان يمكن بسهولة أن يقول "اتجه لأقصى الغرب" دون تكلف بهذا الوصف الغريب. أضف لذلك أن القرآن استمر في الحديث عن الشمس و كأن لها

وزن في القصة. ما المغزى من وصف غروب الشمس في عين حمئة، إذا كانت المسألة هي الذهاب لأقصى الغرب؟ لماذا لم يقل القرآن انه ذهب إلى أقصى الغرب و وجد قوما. و نفس الأمر في الشروق، القرآن يعود للحديث عن الشمس و عن ظهورها.

التأويل الإسلامي لا يربط بين هذه الأمور على الإطلاق. لا يوضح سبب تكرار الحديث عن الشمس و كأنها محور الموضوع، و لا يوضح سبب استخدام هذه الألفاظ الغريبة مثل مغرب الشمس و مشرق الشمس، للحديث عن الذهاب شرقا و غربا. كما أن التأويل الإسلامي لا يوضح سبب الحديث عن لحظات رؤية ذو القرنين لغروب الشمس و شروقها، و ما وزنها في القصة. في مقابل ذلك.. التأويل المباشر الظاهر يعطي وصف لأمر عظيم، و هو الذهاب لأماكن غروب و شروق الشمس على الأرض المسطحة، و هو أمر عظيم بالنسبة لأقوام يتصورون أنهم يعيشون على أرض مسطحة.

أضف لذلك حديث غروب الشمس من البخاري و مسلم، و الذي يوافق التأويل المباشر لقصة ذو القرنين. الحديث:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم حَدَّثَنَا الْأَعْمَش عَنْ إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : كُنْت مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِد عِنْد غُرُوب الشَّمْس فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا أَبَا ذَرّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُب الشَّمْس؟" قُلْت اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِنَّهَا تَذْهَب حَتَّى تَسْجُد تَحْت الْعَرْش فَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: "وَالشَّمْس تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِير الْعَزِيز الْعَلِيم"

فهذا الحديث أيضا يدعم تأويل أن الأرض مسطحة و الشمس عندما تغرب تفعل أشياء لم تكن تفعلها قبل الغروب، و إلا لماذا يتحدث عن لحظة الغروب؟ لماذا لم يقل أن الشمس تفعل كل هذه الأمور دائما، بما أنها دائما تغرب في مكان ما؟

أضف لذلك إشكالية أخرى في هذا الحديث، و هي تفسير آية (و الشمس تجري لمستقر لها). يزعم بعض المسلمين أن هذا إعجاز علمي، و أن الشمس تجري حول مجرة درب التبانة.. دون البحث في السياق. الحديث صريح في أن السياق هو غروب الشمس.. و بهذا فجريان الشمس جاء في سياق الغروب و الشروق.. أي الجريان المعتاد الذي يراه البشر في السماء. و نعلم الآن أن هذا الجريان ليس إلا دوران الأرض حول نفسها، و ليس جريان الشمس نفسها كما ذكر القرآن. و هنا، مرة أخرى، التأويل الأنسب سياقا هو الخطأ العلمي، بينما النظر من داخل الصندوق يجعلك ترفض الخطأ العلمي ليس لأنه التأويل الأضعف، و إنما لأنه لا يتسق مع الإفتراض الذي لديك بأن هذا الكتاب هو من الله.

ننتقل إلى إشكالية أخرى في القصة، و هي إشكالية بناء ذو القرنين لسد يأجوج و مأجوج. هذا السد بناه ذو القرنين بين جبلين في مكان ما على سطح الأرض. الإشكالية ببساطة هي أننا الآن كشفنا سطح الأرض بالكامل بالأقمار الصناعية، و لم نجد هذا السد الذي يحاول أن ينقب فيه شعب بعدد هائل.

بعض المسلمين يرد بأنهم تحت الأرض، و لهذا استخدم القرآن كلمة ردم. و يستشهد أيضا بالحديث الذي يقول انهم يحفرون حتى يكاد أن يروا أشعة الشمس. و لكن هذا التأويل ضعيف لأن القرآن صرح بأنهم لم يستطيعوا أن يظهروا السد، أي أن يتسلقوه، و هذا لا يتوافق مع فكرة أن السد يكون سد فتحة في الأرض. أما حديث أشعة الشمس فهناك من ضعفه لأسباب في الإسناد، بالإضافة إلى تضعيف لأسباب في المتن نفسه حيث أنه يتعارض مع صريح القرآن. و لعل القارئ يعود لتفسير ابن كثير لتتضح الصورة. أما كلمة ردم،

فتستعمل لتعني السد، و يمكن للقارئ الرجوع للمعاجم اللغوية. بل وجدت أحدها يقتبس هذه الآية بالذات كمثال لمعنى سد.

الشاهد هنا هو أن هذا السد على سطح الأرض كما يتضح من نص القرآن، و أننا لا نراه الآن رغم أنه تم كشف الأرض كلها.. و جوجل إيرث موجود لدينا جميعا و نستطيع بضغطة زر رؤية أي مكان في الكوكب. هذه إشارة قوية جدا إلى أن القرآن يتضمن أحد خرافات ذلك العصر، و لم يكن يعلم مؤلف القرآن صحة القصة من عدمها.

يرد بعض المسلمين أنه ربما أخفاهم الله عن أعيننا. لماذا أخفاهم؟ لحكمة لا يعلمها إلا الله. عدنا إلى الردود المطاطية. هذه الدرجة من التبرير يمكن أن تبرر أي شيء. حتى لو رأينا نبوءة محددة بالتاريخ و المكان بأن شيئا سيظهر، و لم نراه.. يمكن تبرير أن النبوءة ظهرت و لكن أخفاها الله عن أعيننا. لن نستطيع أن نتوثق من أي شيء إذا كنا نقبل بهذه الدرجة من التبرير. يأجوج و مأجوج تظل إشكالية كبيرة ضد الإسلام، و السبب هو في صراحة وصف القرآن لها، و قدرة التقنية الحديثة في اختبار وصف القرآن و مسح سطح الأرض بالكامل و عدم رؤيتنا لهذا السد و هذه الشعوب المحبوسة خلفه.

ننتقل إلى الإشكالية الأخيرة، و هي ربما الأكبر، لأنها ببساطة هي تضح النقاط على الأكبر.. ألا و هي الشخصية التي خلف لقب ذو القرنين. ربما لاحظت أن هناك اختلاف بين علماء المسلمين في تخمين الشخصية. بعضهم قال الملك الفلاني.. و بعضهم قال الفرعون الفلاني. بعضهم قال ملك في اليمن، و بعضهم قال في الشام.. و غيرها من الأقوال. في حين أن كل من قرأت من المستشرقين اتفقوا و أجمعوا على قول واحد، و أيضا وافقهم فيه بعض المسلمين. هذا الرجل هو الإسكندر الأكبر.

لماذا اتفقت أقوال المستشرقين و اختلفت أقوال المسلمين؟ السبب ببساطة ديني. الأدلة، و سأفصل فيها لاحقا، تشير بشدة إلى الإسكندر الأكبر.. و لهذا أجمع المستشرقين عليها. و لكن الإشكالية لدى المسلمين هي

أن الإسكندر كان مشركا، بالإضافة إلى مزاعم الشذوذ الجنسي حوله، و هذا لا يتوافق مع وصف القرآن بأنه رجل صالح. و لهذا السبب الديني يرفض كثير من المسلمين نظرية أن ذو القرنين هو الإسكندر، و هي الأخرى نظرة من داخل الصندوق.

نأتي هنا للأدلة. الدليل ببساطة هو أن قصة ذو القرنين تكاد تكون حرفيا متطابقة مع قصة الإسكندر. ربما بعضكم يستغرب، كيف تتطابق تفاصيل القصص؟ لا يوجد كلام عن مغرب الشمس و مشرقها في سيرة الإسكندر.. و لا يوجد كلام عن السد الذي بناه أمام يأجوج و مأجوج. فكيف تزعم تطابق القصص؟ السبب باختصار، هو أن القصة تتطابق مع "أساطير" الإسكندر الأكبر. أو ما يعرف بـ "رومنسيات الإسكندر".

رومنسيات الإسكندر هي عبار عن كل الأساطير التي تم تأليفها عن الإسكندر الأكبر بعد موته. من عظمة انجازاته.. قام اليونانيين بتأليف الأساطير فيه.. و من عظمته تبناها اليهود في دينهم.. و تبناها أيضا المسيحيين في دينهم. فأتت تفاصيل كثيرة من هذه الأحداث في أديان اليهود و النصارى، و صبغوها بصبغة توحيدية. و من هذه القصص جاء سؤال أهل الكتاب لمحمد عن ذو القرنين، بالإضافة للأسئلة الأخرى، و التي كانت سبب نزول سورة الكهف.

لمتابعة التفاصيل بنفسك، ادخل على صفحة ويكيبيديا بعنوان:

Alexander the Great in the Quran

للأسف، بطبيعة الحال، المحتوى العربي الناقد للإسلام يكاد يكون معدوم، و إن وجد فهو في الغالب محجوب.. لهذا لا ملجأ سوى للصفحة الإنجليزية. تجد في الصفحة كلام طويل جدا في تفصيل تشابه الأحداث.. و التي نجدها في مخطوطات قديمة باللغة السيريانية.. نجد كلام عن بناء السد، عن يأجوج و

مأجوج.. عن حركة الشمس. نجده مثلا يتحدث عن مكان طلوع الشمس.. و أن الأقوام في ذلك المكان يغطسون في البحر عند طلوع الشمس حتى لا تحرقهم من قربها.. و هو ما يشابه لفظ "لم نجعل لهم من دونها سترا". بل الأحداث تشابه حديث سجود الشمس، حيث تذهب الشمس إلى الإله و تسجد عنده قبل خروجها مره أخرى.

هنا نجد أمامنا خرافة صريحة تماما و ضمنها محمد من ضمن قصص القرآن. هذه القصة توافق تماما صراحة الألفاظ بخصوص غروب الشمس و شروقها، و تتوافق تماما مع خرافة سد يأجوج و مأجوج.. و سبب عدم رؤيتنا له.. لأنه ببساطة خرافة. كل الدلائل اللغوية من ألفاظ القصة، و الحسية من عدم رؤية السد و يأجوج و مأجوج.. كلها تتوافق مع التأويل اللاديني.. و هي أن القصة خرافة. بينما في التأويل الإسلامي.. فتحتاج سلسلة من التأويلات المتكلفة، بالإضافة لردود مطاطية عن حكمة الله و ما شابه، حتى تتجاوز هذه الخرافة.

للتوضيح، هذا ما تحتاج أن تتأوله في التأويل الإسلامي:

- تحتاج أن تتأول "مغرب الشمس" عن معناها الظاهر، و هو مكان غروب الشمس.
- تحتاج أن تتأول "وجدها تغرب في عين حمئة" عن معناها الظاهر، و هو أن الشمس غربت في عين حمئة.
- تحتاج أن تتأول "مطلع الشمس" عن معناها الظاهر.
- تحتاج أن تجد حل لإشكالية عدم رؤيتنا لسد ذو القرنين و يأجوج و مأجوج خلفه.
- تحتاج أن تجد تفسيرا لسبب توافق لفظ القرآن الذي ظاهره أن الأرض مسطحة، مع ألفاظ خرافات الإسكندر الأكبر السيريانية التي هي أيضا تتحدث عن أرض مسطحة.

ببساطة.. التأويل اللاديني بمراحل أكثر وضوح و مباشرة و أكثر موافقه لظاهر اللفظ و أكثر منطقية. التأويل الآخر متكلف جدا في تحوير المعاني الظاهرة و يتطلب خدع عقليه من اختفاء يأجوج و مأجوج و غيره.. و لا يوجد له أي مبرر إطلاقا.. سوى المبرر الديني.. و هو النظرة من داخل الصندوق. أنا مسلم، إذا الله قال هذا و ليس محمد.. و يستحيل أن يكون خطأ.. لذا سأفعل المستحيل ليبقى صحيحا.

تعليق بسيط على من يتحجج بآيات مثل تكوير الليل و النهار، و أنها دليل على كروية الأرض، هذا غير صحيح إطلاقا. لا إشكال في أن تكون الأرض منبسطة كما هو ظاهر القرآن، و تكون داخل كرة الأفلاك التي يتكور فيها الليل و النهار. بل هذا التصور مشهور قديما، و هذه الصورة من ويكيبيديا توضح الفكرة و تشرح تصور الإغريقي هوميروس عن العالم:



ابن عباس يصف الأرض بأنها على ظهر حوت

أيضا من قرائن الأرض المسطحة هو ما ثبت عن ابن عباس من اعتقاده بالأرض المسطحة، بل و القول بأنها مبسوطة على ظهر حوت:

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (أوّل ما خلق الله من شيء القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السماوات ، ثم خلق " النون " – يعني الحوت - فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرّكت الأرض فمادت ، فأثبت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض ، قال : وقرأ : (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)

صحيح أن هذا ليس كلام محمد، و ليس حجه مباشرة على الإسلام. و لكنه كلام أحد كبار الصحابة الذي هو أحد أسس التفسير في الإسلام.. بل و تلى آية من القرآن، و هي إشارة بأنه يفسر كلمة "نون" التي فيها. كثير من المسلمين يكرر إقرار علماء الإسلام بكروية الأرض كحجة على ضعف طعوننا في القرآن.. بينما هنا ابن عباس بنفسه يتكلم عن أرض مسطحة، بل و أنها موضوعة فوق هذا الحوت المسمى نون.

الرد الإسلامي المعتاد هو أن ابن عباس كان يأخذ من الإسرائيليات، و أن هذا ليس بالضرورة سمعه من محمد. هذا محتمل طبعا، و لكن ابن عباس مشهور عنه النهي من الأخذ من أهل الكتاب لأن ما لديهم محرف.. فكيف يقوم هو بالأخذ منهم؟ في أقل أحواله.. هذه إشاره إلى أن هذا الفهم شائع في ذلك الزمن.. و هذا يدعم التأويل اللاديني لنصوص القرآن بأنها تقر بأرض مسطحة.

إشكالية نبوءة ظهور الدجال بعد فتح القسطنطينية

حديث في الصحاح ينص بأن المسيح الدجال يظهر بعد فتح القسطنطينية. الشاهد من الحديث:

"فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم،"

يقول بعضهم أنه ربما تسقط القسطنطينية و يفتحونها المسلمين من جديد و يتحقق هذا الأمر. نعم، ربما.. و ربما أيضا أن النبوءة أخطأت. النبوءة من دون تخصيص شديد ليس لها وزن، و هو حال جل النبوءات في الأحاديث.. كلام عام للمستقبل.. إذا حدث بعد مئات السنين كان بها، و إن لم يحدث، فالنبوءة لم تقع بعد. هنا نبوءة صريحة محدده بزمن، و لو نسبي، فوجدناها اختبارا لصحة الدين. فبدلا من الإقرار بها كوسيلة للإختبار.. نقوم بتعميمها و جعلها كبقية النبوءات الأخرى.. مستحيلة الإختبار.

إشكالية نفي العدوى

يوجد حديث يصرح محمد فيه أنه لا توجد عدوى، و يجمعها مع خرافات أخرى:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الأول)

الرد المعتاد من الطرف المسلم هو أن العدوى لا تحدث بنفسها، و إنما تحدث بمشيئة الله.. أي أن الحديث يتحدث عن قدرة الله و مشيئته و أنها هي سبب كل شيء. و لكن كما نرى في الحديث أن هذا

الأعرابي فهم الكلام كما نفهمه من ظاهره.. و هو أن محمد ينكر العدوى تماما.. و يعتبرها خرافه. و هذا أعطى محمد فرصة لتوضيح مقصده، و أن المقصود هو مشيئة الله قبل كل شيء. و لكن ماذا قال محمد؟ أتى برد منطقي و ليس ديني.. و هو أنه إذا كانت العدوى هي سبب المرض.. فمن أعدى الأول؟ دون أن يعلم أن الأمراض تنشأ من عدوى و من غير عدوى.

أضف لذلك أن محمد جمع العدوى مع خرافات مثل التشاؤم و غيره. لماذا لم يجمعها مع أمور معروفة حقيقتها مثل الحياة و الموت و غيرها.. حتى يتضح المقصد و هو تأكيد أن مشيئة الله هي الأساس؟ جمعها مع الخرافات الأخرى فيه دلاله أنها هي أيضا خرافة، و فهم الأعرابي يؤكد هذا، خصوصا أنه استثنى العدوى من الخرافات الأخرى لأن العقل يقبل أن تكون الأمور الأخرى خرافه، و لم يصحح محمد فهم الأعرابي و إنما أكد المعنى الأول و أسكت الأعرابي بمنطق خاطئ بسؤاله (من أعدى الأول). الرد بأنه توجد أحاديث أخرى تؤكد العدوى لا يغني عن صراحة هذا الحديث.. و يمكن أن يكون محمد تغيرت قناعته مع مرور الزمن.

إشكالات فلسفية في الإسلام

تحدثنا عن الإشكالات العلمية في الإسلام، و ننتقل الآن إلى إشكالات فلسفية. الإسلام يقدم لنا فلسفة كاملة للحياة.. يقدم لنا سببا للوجود.. يقدم لنا طرق لخطاب الله لنا.. يقدم لنا اختبار في هذه الدنيا.. يقدم لنا جنه و نار في الآخرة. كلها أمور تشكل الإسلام.. و لكنها مليئة بمشاكل منطقية. سأحاول استعراض أهمها فيما يلي.

إشكالية إرسال الرسل

أحد الإشكاليات التي لدي كلاديني مع الإسلام هو طريقة إرسال الله لهذه الرسالة. لماذا يستخدم الله هذه الطريقة، رغم أنها مشبوهة جدا، و غالب البشر لم يصدقوا مصدرها؟ الله يستطيع أن يخاطبنا مباشرة، أليس كذلك؟ لماذا لا يخاطبنا مباشرة و يقول لنا الأوامر و النواهي؟ لماذا ندخل في معمعة التحقيق في مصدر الرسالة؟ ألا يريد الله أن يوصل الرسالة؟ إذا كان الله يريد أن يوصل الرسالة، فكان بالإمكان أفضل من ما كان. لماذا يخاطبني الله عن طريق الهمس في أذن شخص عاش قبل 14 قرن؟ لا أجد الأمر منطقيا إطلاقا.

يقول البعض، و لكن الله أرسل دلائل كافية أن محمد هو رسوله.. مثل القرآن و غيره من المعجزات. ردنا بطبيعة الحال هو نفس الردود في بداية الكتاب. لا نرى إعجاز في القرآن إطلاقا.. و أما مزاعم المعجزات فلم نراها.. و كل الأديان تقريبا لديها مزاعم معجزات و لديها كتب و لديها أتباع تعذبوا في سبيلها. فليس للإسلام أي ميزة عنها. فكيف نميز أن هذه الرسالة بالذات هي من عند الله و غيرها كذب؟

نحن أمام أمرين.. إما أن الله يريد أن تكون الرسالة موثوقة المصدر.. و في هذه الحالة كان بالإمكان أن يقنعنا بطرق أفضل.. فهو الذي خلق العقل، و يعلم ما هي أفضل الطرق لإقناعة.. و كما نرى على أرض

الواقع.. غالب البشر لم يقتنعوا بها. و إما أن الله يريد أن يكون هناك غموض و شك في موثوقية مصدر الرسالة.. و في هذه الحالة.. لماذا يعاتبنا إن لم نستطع التوثق؟ لماذا يعاقبنا و المسألة ليست واضحة أصلا؟

الظاهر لي من نصوص الإسلام أن الله يريد أن تكون الرسالة موثوقة المصدر.. كما ذكر محمد "تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك". كيف تكون بهذه الوضوح و لا يراها في الغالب إلا من ورث هذا الدين؟ النتائج على أرض الواقع لا تتوافق على الإطلاق مع زعم المحجة البيضاء.

إشكالية فلسفة الإختبار

أحد أسس الفكر الإسلامي هي أننا في اختبار.. من ينجح فيه يدخل الجنة، و من يرسب فيه يدخل النار. كثير من الطعون على الإسلام يتم الرد عليها بهذا الرد.. نحن في اختبار. فهو من أشهر الردود المطاطية التي يمكن أن يطبقها أي دين آخر و يتملص من الطعون. و لكن بغض النظر عن مسألة كونه رد مطاطي.. فهناك إشكالية أعمق. الإشكالية هي.. في ماذا يختبرنا الله؟ ما المغزى من هذا الإختبار؟ لا يبدو لي أن هناك أي منطق خلف هذا الاختبار.

حتى تتضح الفكرة.. فكر في الاختبار الذي يجب أن يجتازه طالب الطب. ما المغزى من هذا الاختبار؟ هل الهدف هو مكافأة الناجح و معاقبة الراسب؟ ليس كذلك على الإطلاق.. و إنما هذا أحد نتائج النجاح و الرسوب، و لكن ليست السبب في وجود الإختبار من الأساس. الهدف من وجود الاختبار باختصار هو أن نميز الطبيب الجيد من الرديء. لماذا نحتاج أن نميز بينهم؟ لأننا كبشر نصاب بالحوادث و نمرض، و نحتاج أطباء جيدين لعلاجنا. لذلك من سوء التخطيط أن نسمح لأطباء رديئين أن يعملوا في المستشفيات و يعرضوا حياتنا للخطر.

في المثال السابق نرى بكل وضوح المغزى من الاختبار.. و المعايير التي يتم اختبارها.. و كيفية ارتباط هذه المعايير مع المغزى من الاختبار. فنرى أن المغزى من الإختبار هو حاجتنا لأطباء جيدين. و المعيار هنا، جودة الطبيب. و الرابط بينهم أن الطبيب الجيد سيسد حاجتنا للأطباء الجيدين.

لنحاول أن نطبق ذلك على الاختبار في الإسلام. ما المغزى من الاختبار.. و ما المعيار الذي يتم اختباره، و ما هو الرابط بين هذا المعيار و المغزى. أما المغزى من الاختبار.. فليس لدي أي فكرة على الإطلاق. أما المعيار، فيبدو لي من نصوص الإسلام أن المعيار هو قوة الإيمان. ما هو الرابط بين المعيار و المغزى؟ لا أدري أيضا لأني لا أدري ما هو المغزى من الإختبار. ما هي الحاجة من قوة الإيمان في الآخرة؟ عندما ندخل الجنة.. هل سنستخدم قوة الإيمان لأغراض معينة؟ ما هي الحاجة التي يحتاجها الله، و يريد أن يختار الأفضل من بيننا كبشر لسد هذه الحاجة؟

إشكالية عذاب جهنم الأبدي

كثير من المسلمين يذم الملحدين و اللادينيين في أنهم يقبلون بالظلم. يقبلون بأن يموت الظالم و المظلوم.. و لا يوجد حياة أخرى يتم إقامة العدل فيها. و لكن ما لا ينتبه له أغلب المسلمين هو أن فكرة جهنم في الإسلام هي أشد شناعة بمراحل من عبثية دنيا الإلحاد. لا أتحدث هنا عن إحقاق العدل بين المتخصامين.. بل أتحدث عن تعذيب من لم يقتنعوا بوجود الله او برسالة محمد.

لا أتصور إطلاقا كيف يكون من العدل أن يتم شوي انسان لمدة مليارات السنين لأنه فقط قرأ القرآن و لم يقتنع أنه من عند الله. لا أتصور أن شخص مثل بيل قيتس الذي صرف المليارات في سبيل علاج و إغاثة المحتاجين في أفريقيا و حول العالم.. أن يتم سحبه على وجهه إلى جهنم و يتم حرق جلده، و إستبدال جلده المحترق بجلد جديد حتى يستمر شعوره بالألم.. لماذا؟ لأنه ملحد. لأنه لم يقتنع أن هناك إله.

يرد بعض المسلمين.. لا تنظر في صغر المعصية.. و إنما أنظر في عظمة من عصيت. و لكن، هذا هو الله أعظم ما في الوجود.. ما المشكلة إذا عصيته عن حسن نية؟ هل هذا أمر شنيع يستحق الشوي في جهنم إلى أبد الدهر؟ بل أحيانا الأمر معكوس على أرض الواقع.. كل ما زادت عظمة المظلوم.. كل ما هان الخطأ. فعندما أخطئ على طفل صغير يلعب في الحديقة.. لهو أمر أشنع من أن أخطئ على زميلي في العمل الذي سيضحك و يتقبل اعتذاري و ينسى الأمر. قد يقول بعضكم.. و لكن ماذا إن أخطأت على رئيس الشركة؟ أقول نعم.. ماذا إن أخطأت على رئيس الشركة و أوقفت سيارتي مثلا في موقفه بالخطأ و عن حسن نية. ما هو رد الفعل الأنسب لمثل هذا الفعل؟ أن يتم فصلي من العمل على أمر تافه مثل هذا؟ أم أن يتحلى رئيس الشركة بالحلم و يوجهني لموقفي الصحيح؟ الجميع سيصفق احتراما للحليم، و سيذم طفولية فصلي من العمل. و هذا بالظبط ما نراه في عذاب جهنم.. عذاب مهول جدا من إله غني عنا جميعا. أين العدل؟

إشكالية تكليف العامة

إذا كنت قد تحاورت يوما ما حول الإله و الأديان.. في الغالب أنه انتهى بك الأمر بالإستدلال بنظريات مثل الإنفجار العظيم، ميكانيك الكم، النسبية، نظرية التطور و غيرها من النظريات المعقدة و المتخصصة. أضف لذلك، كثير أيضا يتعمق في المنطق، و في الفلسفة، و في الأخلاق.. و غيرها من العلوم الإنسانية. سؤالي هنا.. هل الله يطالبنا بأن نتخصص في كل هذه العلوم حتى نستطيع أن نصل إلى حقيقة أن الإسلام هو الدين الحق؟ أم نسأل أهل الإختصاص؟ أم ماذا نفعل؟

الإشكال هنا كما هو واضح.. هو أنه عمليا يستحيل أن نتخصص في جميع هذه الأمور.. و أننا في الأخير نستشير المختصين في هذه المجالات لإختصار الوقت للوصول إلى الأجوبة. لذلك السؤال هنا.. إذا اختلف المتخصصين فيما بينهم.. فأي الآراء نختار؟ نختار الرأي المسلم منهم أم الغير مسلم؟ إذا اخترنا

المسلم.. ألا نتخوف من أن يكون تحيز للإسلام؟ و إذا اخترنا الغير مسلم، ألا نتخوف أن يكون تحيز ضد الإسلام؟

هذه معضلة كبيرة جدا.. لأننا كبشر يستحيل أن نتخصص في كل هذه الأمور.. بينما نحن مكلفون بالإستنتاج الذي نخرج به. رغم عدم استطاعتنا للتخصص في فيزياء ميكانيك الكم، و لا فيزياء النسبية، و لا نظريات الأوتار الفائقة.. إلا أننا محاسبون على استنتاجات بخصوص خلق الكون، رغم أننا نحتاج فهم قوي جدا في هذه النظريات للبحث في أصل الكون.

لست هنا استصغر من مسألة البحث عن الحقيقة.. بل جميعنا نسعى للحقيقة.. متخصصين أم غير متخصصين.. و لكن الإشكالية هنا هي في التكليف.. هي في أننا أمام عقوبة شديدة جدا إذا أخطأنا في الإستنتاج. كيف يكون هذا عدل بينما نحن نعتمد في الإستنتاج على آراء بشرية، و لا ندري أي هذه الآراء البشرية هو الصحيح أو الباطل من دون تخصص؟ علماء الأحياء يقولون بأن الإنسان تطور من كائن سابق، بينما القرآن يقول غير ذلك. هل أصدق المتخصصين؟ أم أصدق هذا الكتاب النثري القديم؟ هذه إشكالية عميقة جدا، و ربما لا تراها و أنت داخل الإسلام بسبب بداهة قداسة القرآن لديك. و لكن شخص من خارج الصندوق لا يرى هذا على الإطلاق. كيف يحكم هذا الشخص في مسألة تطور الإنسان؟ بديهيا سيرفض الشخص هذا الكتاب القديم، لأن العلم البشري في تقدم، و الأفضل أن تأخذ المعلومة الحديثة.

أضف لذلك الفلسفة.. هل توجد علة أولى أم لا؟ إختلف المتخصصين.. أي الآراء صواب؟ أضف لذلك المنطق.. اختلف الناس في الإستدلالات المنطقية.. أي الآراء هو الصواب؟ فلسفة الأخلاق.. اختلف الناس في ما هو جيد و ما هو سيء.. و ما هو عدل.. و ما هو ظلم.. أي الآراء هي الصواب؟

نحن أمام كم هائل جدا من المعلومات.. و نحتاج للاطلاع عليها كلها و بتعمق شديد حتى نخرج بأقرب استنتاج للصواب بشأن صحة دين من الأديان.. و ربما أيضا لا نستطيع الخروج بالإستنتاج. هل من

العدل أنه بعد ان استشرنا المختصين في كل مجال.. أن يكون أمامنا في الحياة الآخرة جهنم تشوينا لمليارات السنين إن نحن أخطأنا في الإستنتاج؟

إشكالية وجود الله

جزء أساسي من فلسفة الإسلام هو الإيمان بأن هناك إله خلق هذا الكون.. و هذا الإله هو الله. و لكن الإشكالية هنا هي أننا لا نستطيع الوصول إلى الله بالعقل. يردد دائما المسلمين أن البعرة تدل على البعير.. و كأن المسهلة بديهية جدا.. و لكنها ليست بهذه البساطة. كما أن دوران الشمس حول الأرض كان أمرا بديهيا جدا قبل عدة قرون.. إلا أننا اكتشفنا أن المسألة أعمق مما تبدو.. و أصبح الفهم البديهي خاطئ تماما.. و أن دوران الشمس ليس حقيقيا و إنما يحدث بسبب دوران الأرض حول نفسها. أدلة المسلمين على وجود الله كثيرة جدا، و لعي أستطيع أن أشمل أهمها و أوضح الإشكاليات فيها.

برهان العلة الأولى

من أهم الأدلة هو برهان العلة الأولى. هذا البرهان له صيغ كثيرة، و كل صيغة لها تبريراتها الفلسفية و العقلية، و لكن هي الأخرى يصعب علي أن أشملها كلها و أوضح الخلل فيها. الفكرة العامة لهذه البراهين باختصار هي أن لكل سبب مسبب. و بما أنه يستحيل أن نعود بالأسباب في الماضي إلى مالا نهاية، فإنه يجب أن يكون هناك سبب أول لا مسبب له. وهذا السبب هو الله. أي أن آخر سبب تصل إليه في هذه السلسلة هو الله.

أحد إشكالات هذا البرهان هو أنه نسف الأساس الذي بنى نفسه عليه. المعطى الأول هو أن لكل سبب مسبب. لهذا.. من غير المنطقي أن يكون الإستنتاج يتعارض مع المعطى الأول. إذا كان لكل سبب مسبب، فإن لكل سبب مسبب.. لا تستطيع أن تغير المعطى في الإستنتاج.

لهذا السبب.. ظهرت صيغة أخرى لهذا البرهان. هذه الصيغة تقول أن أي شيء له بداية، فهذا الشيء له سبب. بمعنى أن الذي ليس له بداية، لا حاجة لأن يكون له سبب. و بما أن الوجود له بداية الإنفجار العظيم، فأكيد أن الكون له مسبب.. وهذا المسبب هو الله. إشكالية هذا البرهان ببساطة هي أننا لا ندري هل الإنفجار العظيم هو بداية الوجود أم لا. لا ندري ماذا كان هناك قبل الإنفجار العظيم.. بل لا ندري ماهي بداية الإنفجار العظيم، فمعرفتنا تعود بنا إلى حد معين من أجزاء الثواني الأولى، و لكن لا نستطيع معرفة ما قبل ذلك. أضف فوق هذا كله، لا ندري إذا ما كان هناك زمن أصلا قبل الإنفجار العظيم. فإذا لم يكن هناك زمن، فسؤال "من خلق الكون" يكون ليس له معنى أصلا، لأنه لا يوجد زمن قبل الكون حتى يتم فيه عملية الخلق. و لو كان هناك زمن قبل الانفجار العظيم، فربما هناك كون أبدي يتم فيه خلق أكوان. فإذا كان هذا الكون الأبدي موجود قبل الإنفجار العظيم.. يصبح هذا البرهان باطل لأن هذا الكون الأول لا توجد له بداية حتى نبحث عن مسبب له.

و فوق هذا كله.. لا ندري أصلا ما إذا كان التسلسل اللانهائي في المسببات منطقي أم لا. يقول بعضهم أنه إذا كانت الأسباب لا نهائية، فإنه يستحيل أن يتم خلق الكون. و يشبهون بذلك بجندي يريد أن يطلق النار على العدو. و لكن قبل أن يطلق، عليه أن يستأذن الجندي الذي قبله، و ذاك الجندي عليه أن يستأذن الذي قبله.. و هكذا إلى ما لا نهاية. السؤال هنا، هل سيطلق هذا الجندي النار على العدو؟ الإجابة المعتادة هي لا طبعا، لأنه يستحيل أن يصل له الإذن بما أن الإستئذان سيستمر إلى ما لا نهاية.. و كذلك أيضا الكون.. يستحيل أن نكون موجودين الآن إذا كانت الأسباب لا نهاية لها.

و لكن، تعديل بسيط على المثال، يجعل إطلاق النار ممكن بعد فترة من الزمن، حتى لو كان تسلسل الأسباب لا نهائي. لو افترضنا أن مدة إستئذان أي جندي ستستغرق نصف مدة إستئذان الجندي الذي قبله، فإن سلسلة الإستئذان ستنتهي في مدة زمنية محدودة. تبدو الفكرة غريبة جدا و غير منطقية، و لكن أي طالب ثانوي يستطيع أن يطبق النهايات التي درسها في الرياضيات، و سيجد أن مجموع الأزمنه سيكون محدود و

ليس لا نهائيا. و مثال ذلك، لو أن مدة استئذان الجندي الأول هي ثانية واحدة، و الذي يليه نصف ثانية، و الذي يليه ربع ثانية.. و هكذا. فإن سلسلة الإستئذان ستنتهي في خلال ثانيتين فقط.

برهان التصميم

حتى لو سلمنا بالبرهان السابق و أن هناك علة أولى للوجود.. هل هذه العلة هي الله؟ لماذا لا تكون العلة سبب طبيعي أو قانون فيزيائي يخلق الأشياء؟ هنا يأتي برهان آخر يسمى برهان التصميم. و هي أننا نرى تصميم حولنا.. نرى تصميم في أجسامنا، نرى تصميم الشفرة الجينية، و نرى تصميم في آليات الخلايا المعقدة. الإستنتاج هنا هو أنه بما أن هناك تصميم، فإن هناك مصمم. و يتم تشبيه ذلك برسوم نجدها في أحد الكهوف القديمة.. و نستنتج منها أنه كان هناك بشر في ذلك الكهف.

أقر بأن لهذا البرهان قوة، و لكنه ليس كافي للإستنتاج.. و السبب باختصار هو وجود آليات طبيعية قد يكون لديها القدرة على ظهور هذه التصاميم.. و أحد هذه الآليات هي آليات التطور الدارويني من تغيرات و انتخاب طبيعي. و حتى نفهم الحجية خلف هذا البرهان، و نفهم كيف أن التطور يضعف حجيته، سأوضح البرهان برياضيات الإحتمالات.

ما هي حجية التصميم؟ حجية التصميم باختصار هي أنه نرى شيء معقد جدا، بحيث أن يستحيل أن يكون هذا الشيء المعقد ظهر بالصدفة. و لهذا، التفسير المنطقي هو أن هناك عقل قام بتصميم هذا التعقيد.

لننتقل إلى الأرقام. تخيل أن أمامك اختبار مكون من ألف سؤال. و كل سؤال يوجد به عشرة اختيارات.. و اختيار واحد فقط هو الصحيح. ماهي احتمالية أن تحل الاختبار كاملا عشوائيا؟ الإحتمال ببساطة هو واحد على عشرة أس ألف.. بمعنى أنك تقريبا تحتاج "واحد و أمامه ألف صفر" محاولة حتى تحل الإختبار. هل تبدو هذه الأرقام مألوفة؟ أتوقع أن كثير منكم سمعها من صبري الدمرداش أو عدنان إبراهيم أو غيرهم. هذا الرقم فعلا مهول جدا، و نستطيع أن نقول أن هذه الإحتمالية عمليا تساوي صفر (على الأقل إذا

استثنينا عدد مهول من المحاولات حتى يمكن أن يحدث). لكن ربما مالم تسمعه.. هو كيف يتغير هذا الرقم إذا ما استخدمنا طريقة التدرج في العشوائية و الانتخاب الطبيعي؟

فكرة التدرج في العشوائية هي أنه بدلا من حل الاختبار كامل مباشرة.. فإنك تقوم بحل السؤال الأول عشوائيا، ثم تتأكد من نتيجتك. إذا كانت خاطئة، تحاول مرة أخرى. و إذا أصبت تنتقل إلى السؤال الذي يليه و لا تعود إليه مرة أخرى. تحت هذه الطريقة.. كيف تتغير أرقام الإحتمالات؟ احتمالية حل السؤال الأول هي واحد على عشرة.. بمعنى أنك في المعدل ستحتاج إلى عشر محاولات لحل السؤال الواحد. و على هذا.. فإنك ستحتاج في المعدل إلى عشرة آلاف محاولة لحل الإختبار كاملا.

هل لاحظت الفرق بين الرقمين؟ التدرج في العشوائية اختصر المدة بشكل مهول جدا.. و أصبحنا نحتاج فقط عشرة آلاف محاولة، بدلا من واحد و أمامه ألف صفر. لهذا السبب عندما يردد المؤمنين تلك الأرقام الخيالية، و يتحدثون عن طائرة تتشكل فجأة، أو عن قارب ابو حنيفة، فإن الملحد يقرهم عليه.. لأنه ببساطة لا يقول بهذا الشيء. الملحد لا يقول بأن الإختبار تم حله بعد "واحد و أمامه ألف صفر" محاولة. الملحد يقول أن الإختبار تم حله بعد عشرة آلاف محاولة. فرق جذري جدا و لكن يختلط بسهولة على العامة.

نقطة أخرى مهمة حول هذه الأرقام المهولة التي يكررها المؤمنين هي ببساطة أن الأرقام خاطئة. صحيح أن المعادلات الرياضية لها مصداقية عالية، و لكن المعادلات تعتمد على معطيات. فإذا قمت بإدخال معطى فاسد، فالنتيجة ستكون فاسدة.. و هذا بالظبط ما يحدث عند حساب احتماليات الكون. تغييرات طفيفة جدا في المعطى أو السؤال تجعل الإحتمالية تقفز من تقريبا 0% إلى 100%.

مثال على ذلك.. تغيل أنك شاركت في لعبة اليانصيب.. و كان هناك مليون مشارك. ماهي احتمالية أن يتم سحب اسمك و تفوز بالجائزة؟ الإحتمالية هي واحد من مليون.. و هي إحتمالية ضئيلة جدا تقارب الصفر. بينما لو أعدنا صياغة السؤال و سألنا عن ماهي احتمالية فوز شخص ما باليانصيب؟ تجد أن النسبة

أصبحت 100%. عند سحب اسم فبالتأكيد سيفوز شخص ما. و بين هذا وذاك.. تخيل أن السؤال هو ماهي احتمالية أن تفوز امرأة باليانصيب؟ يعتمد.. كم عدد النساء المشاركات؟ إذا كان النصف.. فالنسبة 50%.. و إذا أكثر أو أقل.. تكون النسبة كذلك. لهذا.. يستحيل علينا تحديد احتمالية فوز امرأة من دون أن نعرف كم امرأة مشاركة في اليانصيب.

الفساد في أرقام احتماليات ظهور الكون هو مشابه للفساد في حساب احتمالية فوز امرأة. فكما أننا لا نعرف عدد النساء المشاركات حتى نستطيع حساب النسبة، فنحن لا نملك أدنى فكرة عن عدد الأكوان التي يمكن أن تظهر فيها الحياة. فكيف تقوم بحساب نسبة، و أنت ليس لديك أي فكرة عن ماهي قيمة البسط؟

بل مشكلة الأكوان أشنع من مشكلة اليانصيب. في اليانصيب على الأقل نعرف قيمة المقام.. و هو العدد الكلي للمشاركين.. أي مليون مشارك. بينما في الأكوان.. كم هو العدد الكلي للأكوان المحتملة؟ إذا كنا لا ندري كيف ظهر هذا الكون أساسا.. كيف يمكننا أن نعرف كم هناك من كون محتمل أصلا؟ فإذا كنا نجهل كل من البسط و المقام.. فإنه ببساطة يستحيل أن نقوم بحساب أي نسبة لإحتمالية ظهور كون صالح للحياة. فكما ذكرت سابقا.. معطيات فاسدة تؤدي لنتائج فاسدة.

إذا كيف ظهر الكون؟

الجواب ببساطة.. لا ندري. علمنا يصل بنا إلى اللحظات الأولى من الإنفجار العظيم.. و لكن لا نستطيع رؤية ما قبل ذلك. ربما الله خلق الكون، و ربما قوانين الطبيعة خلقت الكون. هل لأننا لا ندري يعني أن الله هو الخالق؟ هذه حجة واهية و تسمى حجة الفراغ.. و هي أنه يتم ملء أي فراغ علمي بـ "الله". أينما كان هناك جهل علمي، يقوم الخلقيون بملئها بالفراغ. بينما على مر التاريخ هناك أمثله لا حصر لها لأمور كانت مجهولة، و تم ملء الفراغ بالله، و تم اكتشاف السبب العلمي لاحقا. المطر، الزلازل، الرياح.. كلها أمور كانت مجهولة، و تم عزوها لله... و لكننا الآن نعلم الأسباب الطبيعية لهذه الأمور. بل حتى نيوتن وقع في مثل

هذا الفخ عندما فشل في تفسير بعض حركات الكواكب.. فقام بالإستنتاج بأن هذه الحركة الغريبة هي من فعل الله. و لكن ما هي إلا مئة سنة و أتى عالم آخر و رسم القانون الذي يحكم هذه الحركة.

يحتج بعضهم.. لو فرضنا أن قانونا فيزيائيا خلق الكون.. إذا من كتب هذه القوانين الفيزيائية؟ الجواب هو سؤال آخر: من خلق الله؟ إذا كنت تسمح لله بأن يكون هو العلة الأولى، فلماذا لا تسمح لهذا القانون الفيزيائي أن يمكن أن يكون العلة الأولى؟ الإحتجاج بمثال الباب و النجار، و أن صفات النجار تختلف عن الباب ليس له مكان هنا.. فكل من الله و القانون الفيزيائي يقابلان النجار في هذا المثال. لهذا إذا كنت تسمح لله بأن لا يكون له خالق لأنه مختلف عن الخلق، فلماذا لا تسمح لهذا القانون الفيزيائي؟ آخر يقول.. و لكن القوانين الفيزيائية جزء من هذا الكون، كيف تخلق الكون و هي جزء منه و لم توجد بعد؟ الجواب.. ليس بالضرورة أن تكون جزء منه. نعم هناك قوانين هي جزء من هذا الكون، و لكن هل يمنع هذا وجود قوانين ليست جزء من هذا الكون؟

هذه الأسئلة يكمن إعادة صياغتها بأي شكل و لن يتغير شيء.. لأن الإله و السبب الطبيعي الأول كلاهما يبقيان احتمالان مقبولان لظهور الكون.. الفرق الوحيد المحتمل هو ما يتطرق له برهان التصميم، لأنه يعتمد على وجود كائن عاقل.. و لكن كما أشرت سابقا، كل دلائل الإحتمالات الرياضية لذلك البرهان ليست إلا نتائج فاسدة لمعطيات فاسدة. فالتدرج العشوائي في التعقيد مقبول جدا علميا، كما نرى ذلك في نظرية التطور و تنوع الحياة.. بل و نرى ذلك في التمثيل الحاسوبي كما في لعبة الحياة لجون كونوي، و التي تحدث عنها ستيفن هوكينق في كتابه التصميم العظيم. لمن أراد الإطلاع عليها، يمكنه البحث في الانترنت عن John Conway Game of Life. فكرة هذه اللعبة هي أنه من خلال قوانين بسيطة بدائية.. يمكنك من خلال العشوائية أن تنتج أمور معقدة جدا لو رأيتها للوهلة الأولى لجزمت بأنها مصممه بعقل ذكي.

نقطة مهمة أخرى، و هنا تصب في صالح التدرج العشوائي، و هي صفة التبذير في التصميم. فإننا عندما نفترض الله، فإن هذا المصمم قادر على كل شيء.. و يستطيع أن يخرج لنا التصميم بمحاولة واحدة، و لا حاجة لإنتاج عدد مهول من المحاولات الفاشلة حتى ينجح عدد قليل منها. بينما في فكرة الإنتخاب الطبيعي و التدرج العشوائي في التعقيد.. فإن هذه صفة متلازمة له. و هي أن يتم إنتاج عدد كبير جدا عشوائيا.. و عدد قليل من الذي تم انتاجه يكون قد تطور في التعقيد و تم انتخابه طبيعيا.

ما نراه في الكون يتوافق جدا مع فكرة الإنتخاب الطبيعي. نرى عدد مهول جدا من المجرات.. بينما الإله لا يحتاج إلا لواحده.. و ربما لا يحتاج حتى إلى مجرة لخلقنا. نرى عدد مهول جدا من النجوم في كل مجرة، بينما الإله لا يحتاج إلا لنجم واحد من أجل الحرارة. نرى عدد أكبر من الكواكب حول هذه النجوم.. بينما الإله لا يحتاج إلا إلى كوكب واحد. كل هذا التبذير من مجرات و نجوم و كواكب.. يتوافق مع فكرة الإنتخاب الطبيعي.. حيث ان القوانين العمياء أنتجت بلايين المجرات.. و بلايين النجوم.. و بلايين الكواكب.. و نخبة يسيرة من هذه النجوم و الكواكب كانت تحمل بيئة مناسبة لظهور الحياة من دفء و ماء و غيره. بينما في فكرة الإلة لا حاجة لكل هذا.. بل يقوم هذا الإله فقط بصنع كوكب واحد بعناصر مناسبة، و شمس للتدفئة.. فقط. لا داعي لمليارات و مليارات من الكواكب الميتة.. حتى تكون هناك حياة على نخبة منها التي كانت على بعد مناسب من نجومها.

دوافع الإسلام

قبل أن أختم.. يتساءل بعضهم.. إذا كان الإسلام صنع بشر.. فلماذا نجد هذا العدد المهول من البشر تعتقد به؟ هناك أكثر من مليار شخص يؤمن بهذا الشيء، هل يعقل أن يكون باطل؟ الجواب ببساطة.. ماذا عن المليارين مسيحي الذين يؤمنون بأن ثلاث آلهة تساوي إله واحد؟ ماذا عن الملايين من الهندوس الذين يعبدون البقر و غيره من الآلهة؟ التعداد ليس حجة.. فهناك أسباب كثيرة غير عقلية تدفع الناس للإيمان بما تؤمن به. و هذا في الغالب ما نراه.. السواد الأعظم من البشر، و من ضمنهن المسلمين، يتبعون ديانات آبائهم و أجدادهم.. و هذا بكل وضوح ليس سبب عقلي على الإطلاق. بل حتى حملات الدعوة، تجدها بكثافة للأماكن التي يكثر فيها الفقر و الجهل مثل أفريقيا.. حيث يستطيع الداعي أن يستميل القلوب بالصدقات.. بل و هذا منصوص عليه في القرآن بأن أحد مستحقي الزكاة هم المؤلفة قلوبهم.. و هذا تصريح بمخاطبة العاطفة.

و حتى من هو داخل الإسلام، فالعاطفة تلعب دور كبير جدا في الإبقاء على الدين. الدين يصنع تصور كامل للوجود و الحياة.. و لهذا يوجد خوف شديد من أي محاولة لزعزعة هذا الصرح الذي تم بناءه منذ الطفولة. من أشد أنواع الخوف هو فقدان هذا الأمان و الطمأنينة التي تتبع الإيمان.. كما يشعر الطفل بالأمان بجانب الأب. الشعور بأن هناك من يرعاك و يهتم بك و يقف في صفك، و هو قادر على كل شيء، شعور مريح جدا يصعب على الإنسان التخلي عنه. بالإضافة إلى الطمأنينة بوجود حياة أخرى، و أن الموت ليس نهاية المطاف. هذه الفكرة تخفف علينا وطأة فقدان الحبيب، و تهون تعزية المتأذين من هذا الفقد. بل و تهون علينا مصائبنا نحن، و أن هناك حياة أخرى يتم إحقاق العدل فيها و تعويضنا عن كل ما أصابنا من أذى. كل هذه الأمور تجعل المسلم من غير أن يعي لا يضع أي وزن لأي دليل ضد دينه، لأن عقله يعلم توابع بطلان دينه و ينفر من هذه الفكرة بشدة.

فوق هذا هناك الخوف من جهنم.. الخوف من أنه ربما لم يدرس الأدلة بشكل سليم. بمعنى، أنه حتى لو كان عنده ذرة شك في صدق محمد، فإنه سيتمسك بالإسلام خوفا من أن يخاطر بحياته و يخلد في النار. هذه الفكرة مخيفة جدا، و طبيعية جدا ردة الفعل هذه.. بل و مشهورة بإسم رهان باسكال. أي أنك عندما تراهن كمؤمن، فلا يوجد ما تخسره، بينما الرهان كغير مؤمن، فالخسارة المحتملة فادحة جدا. و لهذا يتم اختيار الإيمان كرهان رابح، و ليس بالضرورة لأنه الأكثر إقناع.

و فوق هذا و ذاك.. هناك الخوف من المجتمع ذاته.. و انك ستتصادم معه إذا لم تقتنع بالإسلام. كيف ستكون حياتك إذا تركت الدين؟ هل ستتحول إلى منافق؟ أم ستخاطر و تصرح بقناعتك؟ كلاهما مر.. و إحداهما سيكون نتيجة ضرورية لتركك للإسلام. إما أن تكتم قناعاتك و تصلي و تصوم أمام الناس.. و إما أن تصرح بآرائك.. و تتصادم معهم. قد تفقد أهلك و القريبين منك بسبب هذه الآراء.. قد تفقد وظيفتك إذا انتشر الأمر.. و قد تصل الأمور إلى السجن أو التهديد بقتلك كمرتد.

فهنا نرى خوف من فوقه خوف من فوقه خوف.. كلها تدفع المسلم للبقاء في دينه. فهو يستمتع بالطمأنينة الإيمانية.. و في الجانب الرابح من رهان باسكال.. و يعيش بتناغم مع مجتمعه. الإقتناع بغير الإسلام سيتصادم مباشرة مع هذه الأمور الثلاثة.. لذلك لا شعوريا العقل لا يضع احتمالية بطلان الدين في الحسبان. حتى عندما يقرأ الشخص و يطلع على الآراء الأخرى.. العقل متشبث جدا بالراحة النفسية في الإسلام، و أي فكرة جديدة سيتم إعادة ترجمتها تحت إطار الإسلام. و هذا ليس في الإسلام فقط.. بل هي نفس الحال في كل الأديان.. و نتيجة هذا تجد جل البشر على ديانة أهلهم و مجتمعهم.

خاتمة

موضوع الأديان هو موضوع شائك جدا.. هناك جوانب علمية.. جوانب فلسفية.. جوانب أخلاقية.. بل جوانب عاطفية.. و يستحيل علي الإلمام بها في كتاب قصير كهذا. ما أردته هنا هو أن أتحدث عن ما في داخلي.. أن أعبر عن قناعتي. مللت من كون الدكتور محمد العوضي يتحدث بلساني.. و أردت أن أتحدث هنا بلساني.. و أطرح الحجج أنا بنفسي لا أن يطرحها مسلم نيابة عني.

هدفي من الكتاب هو حقوقي بالدرجة الأولى قبل أن يكون فكري. أريد أن يكون لنا جميعا الحق و الحرية في البحث عن الحقيقة أينما كانت.. و أن يكون لنا الحرية في اختيار الفكرة التي نقتنع بها.. و أن نخرج بالإستنتاج الذي نرضاه. كلنا بشر.. كلنا نرى نفس الأمور.. و لكل منا عقله.. و لكل منا تجربته في الحياة.. فلكل منا طريقته في ترجمة ما نراه في هذه الحياة إلى قناعة. فكيف نقبل أن يتم تهديد أي انسان بأي عقوبة.. بسبب أن قناعته تغيرت؟

لست متفائل بأي تغيير في القريب العاجل.. و لكن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة. تحياتي للنبلاء من المسلمين المقدسين لحرية التفكير من أمثال الدكتور طارق السويدان و الدكتور عدنان ابراهيم.. و غيرهم الكثير ممن سموا فوق فكرة قتل المرتد.. و عرفوا أن نفس الذي أوصلهم لقناعاتهم.. هو الذي قد يقود غيرهم لقناعات أخرى.. و أن الطريق للعيش السلمي بين الشعوب.. هو احترام هذه الأداة.. احترام العقل.. و أن نتخاطب مع بعضنا بالعقل.. لا أن نتحاور مع بعضنا بالسيوف.

ربما نصحو قريبا.. أو ربما أنها هي طبيعة البشر.. أن نتعلم بالتجربة.. و نضطر أن نسير كما سارت أوروبا.. إلى قرون من العصور المظلمة..

تحياتي للأحرار